مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٩)

شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

رحمه الله تعالى

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية بالرياض

دار التوحيد للنشر

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شرح العقيدة الواسطية

ح دار التوحيد للنشر والتوزيع ، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الراجحي، عبدالعزيز عبدالله
شرح العقيدة الواسطية ./ عبدالعزيز عبدالله الراجحي - الرياض١٤٣٣هـ
١٨٤ص ، ١٧ x ٢٤ سم
ردمك ٣-٢١-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨
١- العقيدة الإسلامية ٢- التوحيد أ- العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٣/٢٠٩١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٠٩١
ردمك: ٣-٢١-٨٠٢٩-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ

حقوق الطبع محفوظة

لمركز عبدالعزيز عبدالله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية
ترخيص رقم (٣٨٩)

المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٣١٢ ص.ب: ٢٤٥٩٦٠
٠٠٩٦٦١٤٤٥٥٩٩٥ - ٠٠٩٦٦٥٠٩٢٤٢٤٢٥
http://shrajhi.com - info@shrajhi.com

لايسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه في أي وسائط نشر أخرى سواء على الإنترنت، أو الصحف، أو وسائط التخزين الإلكترونية... إلخ، أو ترجمته إلى لغة أخرى إلا بعد إذن مسبق ومباشر من المركز.

دار التوحيد للنشر
الرياض - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤
darattawheed@yahoo.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٩)

شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية

رحمه الله تعالى

تأليف

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية بالرياض

دار التوحيد للنشر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

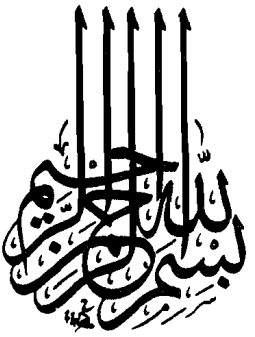

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقديم

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

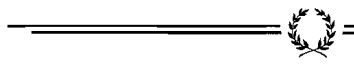

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **وبعد:**

فهذا (**شرح العقيدة الواسطية**) لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتبها في قعدة بعد العصر، وهذه الرسالة في عقيدة السلف الصالح، وهي بيان لعقيدة أهل السُّنة والجماعة في الأسماء والصفات، والأحكام والصحابة، وقد تلقتها الأمة بالقبول.

وقد شرحتها في مجالس علمية، وتم تفريغها فخرجت في هذه النسخة المطبوعة. أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بها كل من قرأها، أو اطلع عليها.

وأسأل الله تعالى أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود وينفع بالأسباب إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

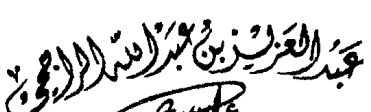

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(م) سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ [مِنْ] أَحَدِ قُضَاةِ وَاسِطَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عُمْدَةً لَهُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

فَأَجَابَهُ: - بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ: إِقْرَاراً بِهِ وَتَوْحِيداً؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً مَزِيداً.

الشرح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه الرسالة هي (العقيدة الواسطية) للإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرَّاني - رحمة الله عليه - وهي رسالةٌ عظيمة، قد جمعت على اختصارها معتقدَ أهل السنة والجماعة.

وقد بيّنَ فيها - رحمة الله عليه - مذهبَ أهل السنة والجماعة في أسماء الدين، وفي أسماء الأحكام وبيَّن أصول مذهب أهل السنة والجماعة، وبيَّن مذاهب المتحدثين عن أهل السنة والجماعة، سواءً كان ذلك في أسماء الدين، أو في الأحكام، أو في الصحابة، أو غير ذلك، وَمِمَّا قَرَّرَهُ فيها: أن أهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة الباقية إلى قيام الساعة.

وهذه الرسالة أصلها جواب لسؤالٍ وُجِّهَ إلى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ من بلدة

واسط في العراق؛ ولذلك سُمِّيَتْ بالواسطية، وقد كتبها بعد العصر في قَعدةٍ واحدة. ولا يزال العلماء والطلبة يقرؤونها ويدرسونها ويحفظونها من وقت تأليفه رَحِمَهُ اللَّهُ لها إلى وقتنا هذا. فهي رسالة عظيمة نفع الله بها. وقد استدل فيها على كل ما ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ من أدلة ونصوص: من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ. وقد افتتحها بهذه الخطبة وهي قولُه:

(الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً).

وهذا اقتباس من قول الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

والحمد معناه: الثناءُ على المحمود والإخبار عن صفاته مع حُبِّه وإجلاله وتعظيمه، فإن خلا عن الحب؛ فإنه يُسَمَّى مدحاً ولا يُسَمَّى حمداً، مثالُه: أنْ تذكرَ عَدُواً لك بأوصافٍ تمدحه بها، وأنت لا تحبه، وقد تذكر أوصافاً للأسد بأنه قوي، أو بأنه مَلِكُ الحيوانات، أو أنه مفترس، وبأنه كذا وكذا؛ فهذا ثناء ومدح، وليس بحمدٍ.

فالفرق بين المدح والحمد: أنهما يجتمعان في أن كُلّاً منهما فيه وصفٌ للممدوح وذكر لصفاته، لكن إن كان معه إرادة وحب؛ فهو: حمدٌ، وإن لم يكن معه إرادة وحب؛ فهو: مدحٌ.

ولهذا جُعل الحمد كُلّ الحمد مُلْكاً لله تعالى واستحقاقاً، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المالك لجميع أنواع المحامد، فأنواع المحامد كلها ملكٌ لله، ومُسْتَحَقَّة له؛ ودخولُ الألف واللام التي تدل على استغراق الجنس؛ يُفيدُ ذلك.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: الله: عَلَمٌ على الذات الإلهي؛ أي: على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو أعرف المعارف، ويقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يُوصَفُ بجميع الصفات كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٣]. فاسم (الله) تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلى.

فالله هو أعرف المعارف، وهو عَلَمٌ على الرب سبحانه؛ لا يُطلق على غيره، وهو مشتمل على الألوهية. وأسماء الله مشتقة وليست جامدة، وكل اسم منها مشتمل على صفة.

ف(الله): مشتمل على صفة الألوهية.

واسمه (الرحمٰن): يدل على صفة الرحمة.

واسمه (العليم): يَدل على صفة العلم.

واسمه (القدير): يدل صفة القدرة. وهكذا. فهو ﷻ ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين.

(الحمد لله الذي أرسل رسوله): الإرسال هو: البعث.

والرسول هو: الذي أُوحي إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه، وأُرسِلَ إلى أمةٍ كبيرة، آمن به بعضهم، ورد دعوته آخرون.

والنبي هو: الذي يُنبأ في نفسه، ويُكلّف بالعمل بشريعة سابقة، ويُوصي إلى مؤمنين، وقد يُوحى إليه في قضيةٍ خاصة، مثل قضية بني إسرائيل الذين كُلِّفوا بالعمل بالتوراة، وجاءوا بعد موسى عليه السلام؛ كلهم كُلِّفوا بالعمل بالتوراة، كداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، حتى بعث الله عيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

والمراد بالرسول هنا: نبينا محمد ﷺ، الذي أُرسل بالهدى، ودين الحق.

(الهدى) هو: العلم النافع.

(ودين الحق): هو: العمل الصالح.

فالله تعالى بعث رسوله بالعلم النافع والعمل الصالح؛ ليظهر دينه على الدين كله، وعلى جميع الأديان.

وقوله: (وكفى بالله شهيداً) أي: حاضراً مطلعاً، مُظهِراً للدين الذي أرسل به رسولَه، على الدين كله.

ثم قال: (وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له؛ إقراراً به وتوحيداً).

معنى أشهدُ: اعترف وأُقر. والشهادة لا بد فيها من الإظهار، فلا تكون سراً، والشاهد هو الذي يُخبرُ عن شيءٍ ويعترف به، ويجهر به.

فمعنىٰ **(وأشهد أن لا إله إلا الله)**: أي: اعترف بأن لا معبود بحق إلا الله.

و(لا إله إلا الله)؛ هذه هي: كلمة التوحيد، التي بها أَرْسَلَ الرُّسلَ، وأنزل الكتبَ، وبعثَ النبيين والمرسلين، ولأجلها خُلِقت الخَليقةُ.

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

والإله هو: المعبود، وكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، مشتملة على نفي وإثباتٍ، فلا يصح توحيدٌ إلا بهذين الأمرين: بالنفي والإثبات.

فـ(لا إله): هذا هو النفي.

و(إلا الله): هذا هو الإثبات.

فكلمة التوحيد تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله، وتُثبت جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، والعبادة كل ما جاء في القرآن، وكل ما جاء في السنة، من الأوامر والنواهي. فالأوامر تُفْعَلُ، والنواهي تُترك، فكل ما أمر به الشرع أَمْرَ إيجابٍ، أو أَمْر استحبابٍ، أو نهى عنه الشرعُ، نَهْيَ تحريمٍ، أو نَهْيَ تنزيهٍ، فهذه هي العبادة. فالعبادة تكون جامعة لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال، والأفعال؛ الظاهرة، والباطنة.

فـ(لا إله) أي: لا معبود، (ولا) هي النافية للجنس، وهي تعمل عمل «إن» تنصب الاسم وترفع الخبر. فـ(إله): اسمها، والخبرُ محذوف، تقديره حق.

(فلا إلٰه إلا الله) يعني: لا معبود بحق إلا الله.

وقد غَلِطَ كثيرٌ من أهل الكلام في هذه الكلمة العظيمة، كالأشاعرة وغيرهم، وقدّروا الخبر بقولهم: موجودٌ، أي: لا إله موجودٌ، إلا الله، وفسّروا الإله بأنه القادر على الاختراع.

وقالوا معنى هذه الكلمة: (لا إله إلا الله)؛ لا خالق إلا الله، وهذا باطل؛ لأنه لو كان معنى كلمة: لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله؛ لكان كفّار قريش موحدين، ولما حدث نزاع بين الرُسل والأمم فيه؛ لأنهم بزعمهم يقولون: لا خالق إلا الله، وقريش أيضاً يقولون: لا خالق إلا الله.

ولا يتبيّن عظمة هذه الكلمة وأنها تنفي الشرك، وتُثبت توحيد الله ﷻ، إلا إذا قُدِّرَ الخبر (حق) أي: لا إله حقٌّ إلا الله.

فلا يصح تقدير الخبر بـ(موجود)؛ لأن الآلهة المعبودة بالباطل موجودة وكثيرة، كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج: ٦].

(ومعنى: وأشهد أن لا إله إلا الله) يعني: أشهد ألا معبود بحق إلا الله.

والمعبودات سوى الله، كلها معبودة بالباطل؛ فالشمس، والقمر، والبشر من الأنبياء، والمرسلين، وغيرهما، قد عُبدوا، وكذلك عبدت الأحجارُ، والأشجار، والجن، والملائكة، كلهم عُبدوا بالباطل، والعبادةُ الحقَّة هي عبادة الله ﷻ وحده.

وقوله: (وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له): يعني: إقراراً به وتوحيداً به، وبربوبيته، وألوهيته. وتوحيد الربوبية داخل في توحيد الألوهية.

وتوحيد الربوبية أقرَّ به المشركون، وهو توحيد الله بأفعاله؛ بأنه الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، ومسبب الأسباب.

وأما توحيد الألوهية فهو الذي رفضه المشركون وجحدوه.

وقوله: (وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُ اللهِ ورسُولُه): هذه هي الشهادة الثانية؛ فالشهادة شهادتان:

الشهادة الأولى: الشهادة لله تعالى بالوحدانية، **والثانية**: الشهادة لنبيه بالرسالة.

ومعنى (أشهد) أي: أُقرُّ وأعترف بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي العربي القرشي المكي، ثم المدني؛ هو رسول الله حقاً؛ فأشهد له بذلك.

فهاتان الشهادتان: أصل الدين وأساس الملة: الشهادةُ لله تعالى بالوحدانية، (أشهد أن لا إله إلا الله)، والشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة **(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)**، ولا تصح إحداهما بدون الأخرى، ولا تُقبل إحداهما بدون الأخرى.

فمن شَهِدَ أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمداً رسول الله؛ لم تُقبل منه شهادة أن لا إله إلا الله، ومن شهد أنَّ محمداً رسول الله، ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ لم تُقبل منه، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، ويشهد أن محمداً رسول الله.

وشهادةُ أن لا إله إلا الله؛ هي إخلاص العبادة لله، وتجريد الإخلاص له ﷻ في جميع أنواع العبادة، والشهادة بأن محمداً رسول الله؛ فيها تجريد المتابعة لرسول الله ﷺ.

فشهادة (أن لا إله إلا الله) تنفي الشرك، وشهادة (أن محمداً رسول الله) تنفي البدع.

(صلى الله عليه وعلى آله وصحبه): هذا دعاءٌ؛ أن تسأل اللهَ، وتدعو اللهَ، أن يصلي على نبيه.

وصلاة الله على نبيه أصح ما قيل فيها: أنها ثناء الله على عبده في الملأ الأعلى، كما قال البخاري عن أبي العالية: صلاة الله على عبده ثناؤه عليه في الملأ الأعلى[1].

فأنتَ تدعو الله بتلك الصيغة؛ أن يُثني على نبيه ﷺ في الملأ الأعلى.

(وعلى آله وصحبه)، قيل في معنى الآل: أزواجه وذريته، وقيل: قرابته، وقيل: أتباعه على دينه، لكن (الآل) يشملُ أزواجه، وأقاربه، وذريته من المؤمنين.

---

(١) انظر صحيح البخاري؛ كتاب التفسير باب (١٠) قبل حديث (٤٧٩٧).

وأصحابه كذلك يدخلون في لفظ (الآل)، والجمع بينهما في قوله: (وعلىٰ آله وصحبه) تخصيصٌ بعد التعميم فإنه عَمَّ أولاً، ثم خصَّ، فيكون الأصحابُ قد دخلوا مرة في (الآل) عموماً، ثم خُصِّصُوا بالذكر؛ فهو إذن من باب عطف الخاص على العام.

(وسلّم تسليماً مزيداً): أي: طلب السلامة له ﷺ من الآفات. فجمع بين الصلاة والتسليم عليه؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

و**(تسليماً)** مصدر مؤكد لقوله: (وَسَلِّمْ)، و(مزيداً) من الزيادة، والمعنى: تسليماً زائداً على الصلاة؛ فهو دعاءٌ له بالسلام بعد الصلاة.

۞ أَمَّا بَعْدُ:

الشَّرْحُ

(أما بعد): هذه كلمة يؤتى بها للانتقال من شيء إلى شيء، وهنا؛ انتقلنا من الخطبة إلى الدخول في موضوع الرسالة.

وكان النبي ﷺ يأتي بها كثيراً في خطبه، وكان ﷺ يقول في خطب الجمعة: «**أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ**»(١)، واَختُلِفَ فيمَنْ قالها أولاً.

فقيل: إن أول من قالها داود عليه السلام، وقيل غير ذلك(٢).

والمقصود: أن النبي ﷺ كان يأتي بها في خطبه كثيراً، وهي في الأصل يؤتىٰ بها للانتقال من شيء إلى شيء.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٨، ١٨٩)، وابن ماجه (٤٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٣١٠، ٣١١)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) والحديث الذي ورد في ذلك ضعيف جداً أخرجه الطبراني في الأوائل (٤٠)، وفيه عبد العزيز بن ثابت وهو متروك.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

۞ فَهَذَا اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ـ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الشَّرْحُ

(فهذا) قد أشار إلى ما تصوره في ذهنه رَحِمَهُ اللَّهُ من موضوع الرسالة، يعني: هذا موضوع هذه الرسالة التي سأكتبها، وهي في اعتقاد الفرقة الناجية، فـ(هذا) إشارة إلى ما تضمنته هذه الرسالة المُسمَّاة: العقيدة الواسطية.

(اعتقاد) مصدر؛ اعتقد يعتقد اعتقاداً، وهو افتعالٌ من العقد، ويعني: الاعتقاد في شيءٍ، والجزمَ به. والعقيدة هي: ما يتيقَّنُهُ الإنسان ويعقد القلبَ عليه من الأمور الاعتقادية، وما يُقر به، ويعترف به، ويجزم به سواء أَطَابَقَ الواقعَ، أو خالفه.

وأصله من العقد وهو الربط والشَّدُّ؛ كربط العُقدة؛ لأن فيها ربط الشيء وإيثاقه؛ حتى لا يتفلت منه.

ومنه العقود؛ كعقد البيع ونحوه؛ لأنَّهُ موَّثق وأطرافُهُ مُلْزَمُونَ بمنصوص العَقْد. ويُطلق على ما يدين به الإنسان، ويعتقد به من الأمور المورُوثة التي تلقّاها عن آبائه وأجداده من العقائد، وهو يطلق ـ كما سبق ـ على ما يجزِم به الإنسان حقاً كان أو باطلاً. فالحق: مثل ما يجزم به المسلمون؛ كاعتقادهم بوحدانية الله، والباطل: ما يعتقده أهل الباطل من اليهود والنصارى من عقائدَ يجزمون أنهم على حق فيها، وهي باطلة في نفس الأمر.

فحاصلُ المعنىٰ: أنه يريد أن يقول: ما سأُبينُه في هذه الرسالة، هو الذي يدين بهم أهل السنة والجماعة لربهم، ويعتقدون ويجزمون به، وهذا هو اعتقاد الفرقة الناجية.

الفِرقة بكسر الفاء: الطائفة، والفرقة الناجية هم الذين نجوا من العذاب والشرور والبدع، وسَلِموا من الفتن في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة. فهذا الذي سيذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة، هو اعتقاد الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي نجت من الشرور في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة.

والمنصورة هي التي نصرها الله؛ يعني: المنصورة على غيرها، إما بالسيف والسِنان، وإما بالحجة والبيان، فهي منصورة إلى قيام الساعة، وباقيه إلى قيام الساعة، لا يضرهم من خذلهم.

ودليلُ هذا قولُ النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»(١).

وقوله: (**الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة**)، يعني: إلى قرب قيام الساعة؛ لأن الساعة لا تقوم إلا على الكفرة، فالمرادُ: إلى قرب قيام الساعة؛ وذلك بعد ظهور أشراط الساعة الكبار، فتأتي ريحٌ طيّبة، من قِبَلِ اليمن، تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، وفي الحديث: «**حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه**»(٢).

فتقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الكفرة، فعليهم تقوم الساعة، ولهذا قال النبي ﷺ: في الحديث الصحيح: «**إن من شرار الناس من تُدركهم الساعةُ وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد**»(٣).

فشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة، كما جاء في الأحاديث، فإذا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٢٠) واللفظ له، والترمذي (٢٢٢٩)، وابن ماجه (١٠)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨، ٢٧٩)، كلهم من طريق ثوبان رضي الله عنه، وفي الباب عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عند البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١)، وعن معاوية أخرجه البخاري (٣٤٦١)، ومسلم (١٠٣٧)، وعن جابر بن عبد الله عند مسلم (١٩٢٣)، وعن جابر بن سمرة عند مسلم (١٧٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٠)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٣٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٣) حديث صحيح: علقه البخاري بصيغة الجزم، عن ابن مسعود، دون الجملة الأخيرة (٧٠٦٧)، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤)، والطبراني في الكبير (١٠٤١٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٧٨٩) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه (٦٨٤٧)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وأخرجه مسلم (٢٩٤٩)، وابن حبان في صحيحه (١/ ٣٩٤، ٤٣٥)، والطيالسي (٣١١)، وأبو يعلى في مسنده (٥٢٤٨)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٥٠)، بلفظ: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قُبِضت أرواح المؤمنين والمؤمنات لا يبقى إلا الكفرة، وهم في ذلك حَسَنٌ رزقهم دار عيشهم، يبيعون ويشترون، ويأكلون ويشربون، ولكنهم لا يعرفون الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله**»[١]. فتقوم الساعة وهم مشغولون بدنياهم وبأعمالهم، وذلك أنهم يعملون أعمالاً شتى؛ فتقوم الساعة والرجل يغرس الفسيلة، فلا يتم غرسها حتى فتقوم عليه، ورجلٌ آخر يذوق لحم إبله، ورجل آخر يرفع اللقمة إلى فيه، فلا يضعها حتى تقوم عليه الساعة، ورجلان يتبايعان القماش ويتمادان، فتقوم عليهما الساعة، وذلك أن الله تعالى يأمر إسرافيل فينفخ في الصور، نفخة يُطولُها فلا يسمعها أحد، فلا يزال الصوت يقوى ويقوى حتى يموت الناس؛ أولها: فَزَعٌ، وآخرها: صعقٌ وموت.

فالساعة إذن: إنما تقوم على الكفرة، وأما المؤمنون فإنهم تُقبض أرواحهم؛ فمراد الشيخ رحمه الله من قوله: «إلى قيام الساعة» ـ كما شرحناه ـ، أي: إلى قرب قيام الساعة، حينما تأتي أشراط الساعة الكبار، تُقْبَضُ أرواحُ المؤمنين والمؤمنات، فلا يبقى إلا الكفرة.

وهذه الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة موجودة في كل زمان، وهذا من فضل الله تعالى وإحسانه، ولكنها تقوى وتضعف، وتقل وتكثر، فقد تكون هذه الفرقة متفرقة في أقطار متعددة، وفي مقدمتهم أهل الحديث، وأهل السنة المُلتزمون الذين يعملون بالسنة، والعلماء الربانيون، وكذلك الذين يتعلّمون علوم الشريعة ويُعلّمونها في مقدمة هؤلاء؛ ولهذا لما سُئل الإمام أحمد: مَنْ هم؟ قال: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري مَنْ هم؟[٢].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٤٨) واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ٢٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٥٢٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٨٤٩).

(٢) خبر صحيح: أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٢، وقال النووي في شرح مسلم (١٣/ ٦٦ ـ ٦٧)، أما هذه الطائفة قال البخاري: «هم أهل العلم». وقال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم». وقال القاضي عياض: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث».

ومنهم مَنْ يُدْخِل العوامَ تبعاً لهم، وهم المستقيمون منهم على السنة والجماعة، لكن في مقدمة الفرقة الناجية: العلماء، وأهل الحديث. وتشمل هذه التسمية أيضاً: التاجر المتمسك بالسنة والجماعة، والمزارعَ، والصَّانعَ، وأصحاب المهن؛ ما داموا متمسكين بعقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذا من فضل الله تعالى وإحسانه؛ أنْ أَوْجَدَ وأبقىٰ - في الأرض - إلى قرب قيام الساعة؛ مَنْ يقوم فيها بالحُجّة، وليس هؤلاء إلا أهل السنة والجماعة، لكنهم في آخر الزمان يَقِلون، ويكون الصابر منهم على دينه، كالقابض على الجمر.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر**»[1] وتشبيهُ الصابر على دينه، بالقابض على الجمر؛ لفساد أهل ذلك الزمان، وعدم وجود المُعين والناصر في ذلك الوقت، إلا على قِلَّة. وهذا وإن كان مُشْعِراً بنوع فضيلة لهم على غيرهم؛ فإن الصحابة لا يلحقهم مَنْ بعدهم في الجهاد والصبر، وقد اختُصُّوا بصحبة النبي ﷺ. فهذه الفضيلة الخاصة تقضي على الفضائل العامة التي ثبتت لغيرهم.

(**وأهل السنة والجماعة**) ينتسبون لأهل السنة؛ وأضافهم إلى السنة؛ لأنهم مُتمسكون بها، ويعملون بها، ويعضّون عليها بالنواجذ، ويُدافعون عنها، ويلتزمونها.

والجماعة: جماعة المسلمين، وسموا بأهل الجماعة؛ لاجتماعهم على الخير، واتفاقهم على الحق.

۞ وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِاَللهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالإِيمَانِ بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٦٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٨٠٠٢)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، فهذه هي أصول الإيمان، وأركان الإيمان.

ودليل هذا: حديث جبرائيل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب[١] رضي الله عنه في سؤالات جبرائيل للنبي ﷺ لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد. فسأل النبي ﷺ عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، ثم عن الساعة، ثم عن أماراتها، فلما سأله عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وفي رواية عن **(البعث بعد الموت)**[٢]، وفي رواية: «بالبعث الآخر»[٣]، وفي بعض الروايات: «ولقائه»[٤]، فهذه هي أصول الإيمان الستة.

أصلُ الإيمان بالله عز وجل؛ هو توحيد الله، بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، هذا هو الإيمان بالله؛ أن يُوّحد الإنسانُ ربه؛ فيقر بالألوهية، وبالربوبية، وبالأسماء والصفات.

والإيمانُ بالملائكة هو الاعتقاد بأن لله ملائكة، وأنهم ذوات وأشخاص محسوسة، تصعد، وتُرى، وتنزل، وتجيء، وتُخاطب الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وأنها تُصلّي عند ربها، فَهُم ذوات وأشخاص محسوسة وليسوا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٣)، كلهم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤).

(٢) زيادة صحيحة أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٧)، وانظر ما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤)، وغيرهم كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) حديث تقدم فيما قبله.

أشباحاً، أو أشكالاً نورانية أو أموراً معنوية؛ كما يقوله الفلاسفة أعداء الله؛ فإن هذا كفرٌ بالملائكة.

والفلاسفة يقولون: الملائكة أشباح وأشكال نورانية، وإذا تقربوا إلى أهل الإسلام قالوا: الملائكة أمور معنوية.

والأمور المعنوية ـ كما يقولون ـ تدعو إلى الخير، كالرحمة والإحسان. وعلى هذا: فالشيطان عندهم، أو الشياطين، أمورٌ شريرة، تدعوا إلى الشر، والانتقام، والظلم، والبغي. وهذا الاعتقادُ في الملائكة والشياطين، كفر ورِدَّة ـ والعياذ بالله ـ وتكذيب صريح للنصوص.

ويجب الإيمان بالملائكة على سبيل العموم، والإجمال، وأن الملائكة لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله ﷻ.

فنؤمنُ بمن سَمَّى الله منهم في كتابه، أو على ألسنة رُسُله، ونؤمنُ بمن وردتْ تسميتهم في النصوص، كجبريل وميكائيل، وإسرافيل، وهؤلاء الثلاثة هم رؤساء الملائكة، وهم الذين وُكِّلوا بأسباب الحياة الحسيّة والمعنوية؛ فجبريل: وُكّل بالوحي الذي فيه حياة القلوب والأرواح.

وميكائيل: وُكِّلَ بقَطْر الماء الذي فيه حياة الأبدان؛ أبدان الآدميين والبهائم.

وإسرافيل: وُكِّلَ بالنفخ في الصُّور، الذي فيه إعادة الأرواح إلى أجسادها يوم المعاد، ولهذا توسل النبي ﷺ بربوبية الله لهؤلاء الملائكة الثلاثة في استفتاح صلاة الليل، فكان يقول: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٧٧٠)، واللفظ له، وابن ماجه (١٣٥٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٥٣).

وكذلك من الملائكة مَنْ هم موكلون بالوحي، ومنهم الموكل بالجبال، والموكل بالشمس، ومنهم الموكل بالقمر، ومنهم الموكل بالجنة، وإعداد النعيم لأهلها، ومنهم الموكل بالنار وإيقادها، وإعداد العذاب لأهلها، ومنهم الموكل بالموت وقبض الأرواح؛ ومنهم الموكّل بحفظ بني آدم؛ فكل واحد من بني آدم له ملكان: أمامه، وخلفه، يحفظانه بأمر الله، وكذلك عن يمينه مَلَكٌ يكتب الحسنات، وعن يساره مَلَكٌ يكتب السيئات، كما قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١١].

فالإنسان بين أربعة أملاك، أربعة أملاك في الليل، وأربعة أملاك في النهار؛ بدلان: حافظان وكاتبان، إلى غير ذلك من أعمالهم؛ فما منهم مِنْ أحدٍ إلا وله مقام معلوم.

وكذلك منهم: النازعات غرقاً، ومنهم: المرسلات عرفاً، ومنهم: الصافون، ومنهم: المتعبدون، الذين يعبدون الله ليلاً ونهاراً بالصلوات، وبالتسبيح والتقديس في السموات. والملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض، يعني: بأمر ربها، وبإذنه ﷻ خلافاً لأعداء الله، الفلاسفة الذين يقولون إنها من قوّة التخييل التي يخيّل بها الرسولُ القوىٰ العقلية في أشكال محسوسة، وليس في الخارج ذات منفصلة، وإنما مجرد أمور ذهنية!! وقولهم هذا ظاهر البطلان؛ فالملائكة خَلْقٌ، خلقهم الله واصطفاهم؛ كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال ﷻ: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]. خلافاً للفلاسفة وللمشركين الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، وكأن هذا القول حوّل عن الفلاسفة، كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ ابن تيمية.

وقوله: (وكُتبه) أي: نؤمن بكتب الله؛ التي أنزلها على أنبيائه ورسله؛ فعلى المسلم أن يعتقد أن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله، لا يعلم أسماءها وعددها إلا الله ﷻ؛ فنؤمن بما سمى الله منها في كتابه، وأن أعظمها الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ فالتوراة أنزلها الله على

موسى، وهو كتابٌ عظيم، والإنجيل أنزله على عيسى، والزبور أنزله الله على داود، والقرآن أنزله على نبينا محمد ﷺ.

وأعظمها القرآن، ثم يليه التوراة، وكثيراً ما يجمع الله بين التوراة والقرآن؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٤٨]، يعني: التوراة والقرآن.

وأفضلها، وخاتمها، والحاكم والمُهَيْمِنُ عليها هو القرآن العظيم؛ فنؤمن بما سمَّى الله منها وهي: صحف إبراهيم وموسىٰ، والتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وما لم يُسَمِّه نؤمن به إجمالاً.

والأصل الرابع: الإيمان بالرسل، فنؤمن بأنَّ الله تعالى أرسل رُسلاً كثيرين إلى خَلقه، لا يعلم أسماءهم على التفصيل إلا الله، وقد سمَّىٰ اللهُ منهم في كتابه خمسة وعشرين، كما في سورة الأنعام، وسورة النساء قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال في سورة الأنعام، لما ذكر الله إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦].

وهناك رسل لم يقصصهم الله علينا في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ [النساء: ١٦٤]، فنؤمن بهم إجمالاً، ونعتقد أنهم أفضل الناس، وأنهم خير الناس، وأن الله اصطفاهم واجتباهم، وخصّهم بحمل الرسالة، خلافاً للفلاسفة أعداء الله، الذين يزعمون أن النبوة والرسالة ليست هِبَةً واصطفاءً من الله، وإنما هي صنعة من الصناعات، وحِرفةٌ من الحِرَفِ، وسياسة من السياسات، هكذا يقولون!

ويقولون: إنّ النبي رجلٌ عبقري، يسوس الناس، وليست النبوة هبة من الله، بل هي حِرفة وصنعة، ويمكن أن يكتسبها كل أحد، بالميراث

والخبرة، والتجارب، وللنبيِّ عندهم ثلاث صفات: من اكتسبها فهو نبي: قوة الإدراك حتى ينال من العلم أكثر من غيره، وقوة التخييل؛ ليخيِّل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، فيتخيل الملائكة في صور أشباح وأرواح، وليس ذلك إلا مجرد صور ذهنية، لا وجود لها في الأعيان. وكذلك: لا بُدَّ أن يتصف النبي عندهم بقوّة النفْس؛ ليؤثر بها في (هيولىٰ العالم) ـ أي مادة الشيء الذي يصنع منها ـ بقلب صورة إلى صورة. فلا بد أن يكون النبي متصفاً بهذه الصفات.

ومما يقولونه أيضاً: إن النبوة ليست من المرتبة العالية؛ بل هناك ما هو أعلى منها.

ولهذا فإن كثيراً من الصوفية لا يرغب في النبوة، ويتطلع إلى تحصيل ما هو أعلى منها بزعمه؛ كمن تهوّد وتفلسف على مذهب اليهود وأضرابهم، وصاروا يتطلّعون إلى الفلسفة، ويقولون: الفلسفة نبوة خاصة، والنبوة فلسفة عامة.

فالفرق بين النبوة الخاصة والنبوة العامة: أن النبي تكلَّم بأسس عامة، بخلاف الفيلسوف الذي تكلَّمَ بأسس خاصة، ولهذا: كان الفيلسوف عندهم أعلى درجة من النبي! وكفر هؤلاء فوق كفر الذين ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، لأنهم يزعمون أنهم أعلى من الرسول.

ومن معتقد أهل السنة والجماعة: الإيمان باليوم الآخر: وهو يوم القيامة، والإيمان بالبعث، وأنه تعالىٰ يبعث الأجساد، وأن الأرواح تعود إلى أجسادها، بعد أن ينفخ إسرافيل في الصور بأمر الله، وقبل ذلك تنبت أجساد الناس، فتتطاير الأرواح وتدخل كل روح في جسدها؛ لأن الأرواح باقية، فالأرواح لا تموت أي: لا تَفْنَىٰ وإنما تفارق الأبدان؛ فهي إما في نعيم، أو في عذاب، والمؤمن إذا مات تُنقل روحه إلى الجنة، والكافر روحه تُنقل إلى النار، والأجساد تَبلى إلا عجب الذنب، فيُرسل الله مطراً تنبت منه أجساد الناس، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعين يوماً؟ قال: أبيتُ، قالوا:**

أربعين شهراً؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعين سنة؟ قال: أبيتُ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنب ومنه يُرَكَّبُ الخلْقُ يوم القيامة»[(١)]. فإذا تم خلقهم، أمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور، فعادت الأرواح إلى أجسادها، فقام الناس من قبورهم.

ومن لم يؤمن بالبعث فهو كافر، بإجماع المسلمين. والفلاسفة أنكروا البعث؛ فهم لذلك كفرة، وقد كفَّرهم الله في قوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧].

والله تعالىٰ أمر نبيه أن يُقسم على البعث في ثلاثة مواضع في الكتاب الكريم؛ فالموضع الأول تقدَّم في الآية السابقة، والموضع الثاني: في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣].

والموضع الثالث: قوله في سورة يونس: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ﴾ ـ أي: البعث ـ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ﴾ [يونس: ٥٣]. فمن لم يؤمن ببعث الأجساد؛ فهو كافر بإجماع المسلمين.

وابن سينا الفيلسوف أنكر بعث الأجساد[(٢)]، وقال: لا تُبعث الأجساد، وإنما البعث للأرواح دون الأجساد، فأنكر المعاد الجسماني؛ وهذا كفر بإجماع المسلمين.

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ما يكون من أمورٍ قبل البعث كالسؤال في القبر من منكر ونكير، وعذاب القبر ونعيمه، وضغطة القبر وتضييقه، وفتح باب إلى الجنة وباب إلى النار، وكل هذا يكون في داخل

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٦٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٣١٥)، وابن حبان في صحيحه (٣١٣٩)، وغيرهم كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٩٣)، شرح قصيدة ابن القيم (١/ ٧٥).

القبر، وكذلك يدخل في الإيمان باليوم الآخر: ما يكون بعد البعث من الشفاعة، والحساب، والجزاء، ووزن الأعمال والأشخاص، وورود الناس على الحوض، والمرور على الصراط، ثم الاستقرار في الجنة أو النار. كل هذا داخل في الإيمان باليوم الآخر.

وقوله المؤلف: (والبعث بعد الموت)؛ لأن هذا اللفظ جاء في بعض روايات الحديث.

فاليوم الآخر يشمل البعثَ وما يكون بعده كدخول الجنة والنار، والحساب، والجزاء، والصراط، والميزان.

والأصل السادس: (الإيمان بالقدر خيره وشره).

والقدر: مصدر؛ قدَّر يُقدِّرُ تقديراً.

فالإيمان بالقدر هو: الإيمان بما قدَّره الله على الخلائق، وهو يشمل على أربعة مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بالعلم، يعني: أن يؤمن العبد بأن علم الله شاملٌ لجميع المخلوقات؛ في الماضي، والحاضر، والمستقبل، سواءٌ أكانت موجودة أو معدومة، أو ممتنعة؛ فالإيمان بكل هذا داخل في علم الله.

فالله تعالى يعلم ما كان في الماضي، ويعلمُ ما هو كائنٌ في الحاضر، ويعلم ما يكون في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون؛ حتى الشيء الذي لم يوجد يعلمه الله، كما أخبر الله تعالى عن الكفار، لما سألوا الرجعة إلى الدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. فأخبر الله سبحانه بما سيكون (لو رُدُّوا)؛ إلى الدنيا، بأنهم سيعودون إلى ما كانوا عليه من الذنوب والمعاصي، ومع ذلك لم يُرَدّوا.

وكذلك فقد قال الله تعالى عن المنافقين الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك مخبراً عن حالهم بأنهم لو خرجوا؛ لترتب على خروجهم شر عظيم مع أنهم لم يخرجوا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ

إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ [التوبة: ٤٦ ـ ٤٧].

فأخبر الله عن حالهم مع أنهم لم يخرجوا. فالله تعالى يعلم ما كان في الماضي، وما يكون في الحاضر وفي المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون. فهذه المرتبة لا بد من الإيمان بها، فمن لم يؤمن بهذه المرتبة فهو كافر.

والمرتبة الثانية من مراتب القدر: هي الكتابة، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وفي الحديث: «**إنه أول ما خلق الله تعالىٰ القلم فقال له: اكتب، فقال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**»[(١)]. وفي لفظ: «**فجرى في تلك الساعة ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة**»[(٢)]، فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، فلا بد من الإيمان بهذه المرتبة، وبأن الله كتب مقادير الخلائق، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٣)]. فلا بد من الإيمان بالكتاب، وأن كل شيء مكتوب فيه؛ بما في ذلك، أعمال العباد وأفعالهم، وحركاتهم. فهاتان المرتبتان: العلم والكتابة؛ لا بد من

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠٠) واللفظ له، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، والطيالسي (٥٧٨)، والطبراني في مُسند الشاميين (٥٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٧، ٢٠١٨).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، وانظر ما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٣) واللفظ له، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٦١٣٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٧٤، بلفظ: «**قَدَّرَ اللهُ المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

الإيمان بهما كما دلت عليهما النصوص، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

هذه الآية فيها إثبات العلم والكتابة، وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]. وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وقال الله سبحانه: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

وهاتان المرتبتان: العلم والكتابة من لم يؤمن بهما فهو كافر كما ذكرنا. وقد أنكرت القدريةُ الغُلاةُ المرتبة الأولىٰ، وقالوا: إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، فأنكروا علم الله السابق، وكتابته لما هو كائن إلى يوم القيامة، وكفَّرَهم العلماء، وقال فيهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصِموا، فإن أنكروه كفروا»[1]، وقد انقرضت هذه الطائفة التي أنكرت العلم والكتابة. ولهذا قال العلماء: في هؤلاء القدرية النفاة الغُلاة، إنهم خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة، وكذلك الجهمية خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة، وهم الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»**[2].

والمرتبة الثالثة: من مراتب القدر: أن نؤمن بإرادة الله الشاملة لجميع ما في هذا الكون، ومشيئته النافذة في كل شيء، وأن كل شيء في هذا الوجود أراد الله إيجاده؛ فلا بُدَّ أن يُوجَد، ولا يمكن أن يكون في مُلك الله شيئاً لا يُريدُه.

---

(١) العقدة الطحاوية شرح الشيخ الراجحي (١/ ٤٩).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، كلهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٣)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٣).

والمرتبة الرابعة: من مراتب القدر: أن تؤمن بخلْق الله لجميع الأشياء التي في هذا الكون، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]. وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وعامة القَدريّة يُثبتون المرتبتين الأُوليتين، وينفون عموم المرتبتين الأُخريتيْن، بمعنى: أنهم يُنكرون عموم إرادة الله لجميع الأشياء، ويقولون: إن الله أراد كل شيء إلا أفعال العباد، وكذلك أنكروا عموم الخلق، وقالوا: الله خالق كل شيء إلا أفعال العباد؛ فليستْ داخلة في مشيئة الله ولا إرادته على الإطلاق، بل: أفعال العباد خلقها العبادُ أنفسهم، وهم الذين أوجدوها باختيارهم؛ استقلالاً.

وشبهتُهم في قولهم: إن الله تعالى ما أراد المعاصي ولا الكفر الذي يفعله العباد، وإنما هم أرادوها وخلقوها استقلالاً؛ أنه لو خلق المعاصي وعذّبهم عليها؛ فإنه يكون ظالماً لهم، ولهذا كان من أصولهم: العدل، وستروا تحته القول بأن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به؛ حتى لا يكون ظالماً.

فعامّة هؤلاء؛ القدرية مبتدعة عند أهل السنة والجماعة، ولا يخرجون من الثنتين والسبعين فرقة؛ لأنهم متأولون بشبهةٍ؛ بخلاف القدرية الأولى الذين أنكروا العلم والكتابة؛ فهؤلاء كفار، وقد انقرضوا كما مضى بيانه.

هذا هو تفصيلُ معتقد أهل السنة والجماعة، وفي أصول الإيمان الستة، الذي ورد في حديث جبريل عليه السلام.

۞ وَمِنْ الإِيمَانِ بِاَللهِ: الإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلا تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

الإيمان بما وصف الله به نفسه، وَوَصَفَهُ به رسوله ﷺ؛ يدخل في الإيمان بالله؛ فمِمَّا وصف الله به نفسه، قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦].

وقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [لقمان: ٢٣]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ومِمَّا وَصَفَهُ به رسوله ﷺ، مثل ما جاء في قوله: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(١). وفي لفظ: «**اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»(٢). وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**إن الله حَيِيٌّ سِتِّير**»(٣).

فهذه الآيات والأحاديث اشتملت على إثبات أسماء وصفات لله ﷻ؛

---

(١) حديث صحيح: أخرجه النسائي في المجتبى (٣/ ٥٥)، وفي الكبرى (١٢٢٩)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٦٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٨، ٣٨٧، ٤٢٤)، والطبراني في الدعاء (٦٢٥)، وابن خزيمة في التوحيد ص١٢، وابن حبان في صحيحه (١٩٧١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١)، كلهم من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٥١، ٥٦٧١)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٨٠)، وأبو داود (٣١٠٨)، والترمذي (٢٩٧١)، والنسائي (٤/ ٣)، وابن ماجه (٤٢٦٥)، وأحمد في المسند (٣/ ١٠١، ١٦٣، ١٩٥، ٢٠٨، ٢٤٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠١٣، ٤٠١٤)، والنسائي (١/ ٢٠٠)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٦٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ١٩٨)، وفي الأسماء والصفات ص٩١ من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٦).

وأسماء الله تعالى مشتقة وليست جامدة، وكل اسمٍ من أسماء الله، مشتمل على صفة، فما وصفه الله به نفسه من هذه الصفات، أو وصفه به رسوله ﷺ، أو سَمَّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله ﷺ، كله يجب إثباته لله ﷻ، كما يليق بجلاله وعظمته، من غير تحريف لألفاظها ولا لمعانيها، ولا تعطيل لمعانيها عن مدلولاتها، ولا تكييف للصفة؛ بأن يقال: إنها على كيفية كذا، ولا التمثيل لها بصفات المخلوقين، كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فهو ﷻ لا يُماثله أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

فهذه الآية فيها رد على الممثلة والمعطلة؛ رد على الممثلة، كما في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾؛ ورد على المعطلة، كما في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

فقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رَدٌّ على الذين يقولون: إن صفات الله كصفات المخلوقين؛ وهم المشبهة، وأغلبهم من غلاة الشيعة، فغلاة الشيعة يقولون: إن صفات الخالق مثل صفات المخلوقين.

والمشبهة يقولون ذلك؛ فيقول أحدهم: إن لله يداً كيدي، واستواءً كاستوائي، وسمعاً كسمعي، وبصراً كبصري.

وقال بعضهم: إن الله على صورة إنسان. ـ قبحهم الله ـ.

وقال بعضهم: إن الله يحاضَر ويُسامَر ويُصافَح، وينزل عشية عرفة على جمل ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

وقال بعضهم: إنه يحزن، ويبكي، ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

والمشبهة أكثرهم من غلاة الشيعة:

ومنهم البيانية: الذين ينتسبون إلى بيان بن سِمعان التميمي.

ومنهم السالمية: الذين ينتسبون إلى هشام بن سالم الجواليقي، وداود الجواربي، وغيرهم من غلاة الشيعة.

وهؤلاء مشبهة؛ يشبهون الله بخلقه، ومن شَبَّه الله بخلقه: كفر، كما أن من عطَّلَ صفاته وأنكرها وجحدها فهو: كافر.

ولهذا يقول العلماء: المُشَبِّهُ والممثلُ يعبدُ صنماً، والمعطلُ يعبدُ عَدَماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً فرداً صمداً.

فالذي يشبه الله بخلقه؛ لم يعبد الله في الحقيقة، وإنما يعبد وثناً صَوَّره له خياله، ونحته له فكره، فهو من عُبَّاد الأوثان، لا من عُبّاد الرحمٰن، وهو مشابه للنصارى، الذين عَبدوا عيسى.

ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية:

لسنا نُشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبهة عابد الأوثان[١]

وقال: من مثَّلَ الله العظيم بخلقه ... فهو النسيبُ لمشرك نصراني.

فهؤلاء الممثلة ما قدروا الله حق قدره، الذي يضع السماوات على أصبع، والأرض على أصبع، وغيرهما، كما ثبت في الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنَّا نَجِدُ أن الله يجعل السموات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلائق على أصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧][٢].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمٰن إلا كخردلة في يد أحدكم»[٣].

---

(١) الكافية الشافية (٢/ ١٤).

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٥١٣)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٢٣٨، ٣٢٣٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٨٧)، وأحمد في المسند (١/ ٤٢٩، ٤٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٤٢)، كلهم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) خبر حسن: أخرجه الطبراني، في تفسير سورة الزمر الآية (٦٧)، موقوفاً على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومعلوم ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الواحد منا إذا كانت عند خردلة؛ إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالَيْن مباين لها، عالٍ عليها؛ فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف؟!

فكيف يقول هؤلاء الكفرة: إنه ينزل عشية عرفة على جمل إلى السماء الدنيا، وإنه بين الطبقتين، وأن السماء فوقه، والأرض تحته ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ.

فالطائفة المنصورة، والفِرْقة الناجية، الذين هم أهل السنة والجماعة، لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ بل يثبتون كل ذلك، كما جاءت النصوص بإثبات السمع له سبحانه، والبصر، والعلم، والقدرة، واليد، وغيرها من صفاته.

فقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر: ٢٢]: مثلاً: فيه إثبات علمه بالغيب والشهادة.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]: فيه إثبات اسمه الرحمٰن الرحيم، وصفة الرحمة.

وكذلك قوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] فيه إثبات لما اشتملت عليه الآية من أسمائه وصفاته، وكذلك الآيات التي تليها كقوله: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤] كل هذا يثبتُه أهل السنة له، ولا ينفونه، كما سيقرره المصنف بعد هذا.

۞ فَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلا يُكَيِّفُونَ، وَلا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لا سَمِيَّ لَهُ وَلا كُفُوَ لَهُ، وَلا نِدَّ لَهُ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

أي: من عقيدة ومنهج الفرقة الناجية؛ أنهم لا ينفون شيئاً أثبته الله لنفسه ﷻ، بل هم يعلمون ويؤمنون بما ورد في الكتاب والسنة من ذلك، ويثبتون ما أثبته الله، أو أثبته له رسوله ﷺ.

فلا ينفون عنه ما أثبته لنفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، كتحريف الجهمية لقوله تعالى: (استوى)؛ قالوا: معناهُ (استولى)[1]! هذا تحريف للفظ؛ لأن الجهمية وأشباههم من الرافضة فهموا من النصوص فهماً فاسداً، وهو التشبيه ثم أرادوا - بزعمهم - أن ينزهوا الربّ، فوقعوا في التعطيل، وأثبتوا معاني باطلة؛ غير مُرادة. فهم شبَّهوا أولاً ثم عطّلوا آخراً.

وهؤلاء النفاة من الجهمية والمعتزلة، وغيرهم يقولون: لا يليق نسبة الاستواء لله، ويقولون: إن ظواهر النصوص كفر، وقالوا: ظاهر معنى قوله: (استوى): هو أن يكون الشيء المحدود على الشيء المحدود؛ ولا يستوي الشيء على الشيء إلا إذا كان جسماً؛ وإذا كان جسماً؛ كان مشابهاً للأجسام، سواء أكان محدوداً، أو متحيِّزاً، وهذا لا يليق بالله؛ وصفة الاستواء لازمة لذلك، فإذا أثبتناه لله لَزِمَ أن يكون الله جسماً مشابهاً للمخلوقات ومحدوداً، أو متحيزاً في جهة معينة، فلا نثبت له هذه الصفة. بل ننفيها عن الله، فالله تعالى لا يحده شيء، فتعيَّن أن يكون معنى (استوى) هو (استولى)، أو معنى آخر غير ما دل عليه ظاهر اللفظ.

نقول لكم: مَنْ قال لكم هذا؟! فنحن لا نسلّم بما ذكرتموه من اللوازم الباطلة، والظنون الفاسدة، كقولكم: يلزم ذلك من الاستواء أن يكون مشابهاً لاستواء المخلوق! هذا من الباطل، لأنا نقول: إن الله استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته، والله تعالى لا يماثل أحداً من خلقه.

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي (١/ ٤١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٧٩)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٦).

وأمَّا تكَلُّمُكم بلفظ (الحدِّ)، و(الحيِّز)، فهو من الألفاظ المُجملة؛ فإن أردتم بالحيِّز مثلاً أن الله مُتحيّز بمعنى؛ أحاط به شيء من الموجودات؛ فهذا خطأ؛ لأنه تعالى بائن من خلقه، وما ثَمَّ موجود إلا الخالق والمخلوق، وإذا كان الخالق بائناً عن الملخلوق؛ امتنع أن يكونَ الخالقُ في المخلوق، وامتنع أن يكون متحيزاً بهذا الاعتبار، وإن أردتم بالحيّز أمراً عدمياً؛ فالأمر العدمي لا شيء، والله سبحانه بائن عن خلقه، فإذا سُمِّي العدمُ الذي فوق العالم «حيزاً»، وقال: يمتنع أن يكون فوق العالم، لئلا يكون مُتحيزاً؛ فهذا معنى باطل؛ لأنه ليس هناك موجود غيره حتى يكون فيه والله اعلم.

(ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته)، والإلحاد لغةً: الميل، ومنه سُمِّي اللحد في القبر؛ لأنه مائل عن سمت القبر إلى القبلة، والمراد هنا: الميل عن الصواب والحق. والإلحاد أنواع:

فمن الإلحاد: الإنكار والجحد، ومنه: تحريف المعنى، وتأويله بمعاني باطلة.

قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فقول المصنف: (ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته....).

معناه: أن أهل السُّنَّة لا يلحدون؛ بإنكار أسماء الله، أو صفاته، أو تحريف معانيهما، وتأويلها بمعاني باطلة، أو تسمية أسماء الله بأسماء الآلهة. كما سموا (اللات) من (الإله). و(العزى) من (العزيز)، و(مناة) من (المنَّان) فالحاصلُ: أنَّ الفرقة الناجية، لا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يميلون بها عن الحق إلى الباطل، بل يثبتون الأسماء، كما جاءت في الكتاب والسنة، على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وهم كذلك: لا يكيفون صفات الله تعالىٰ، ولا يمثلونها بصفات خلقه.

والتكييف هو: أن يُقال: إن صفة الله كيفيتها: كذا وكذا.

والتمثيل هو القول: بأن صفات الخالق تماثل صفات المخلوقين.

فأهل السنة لا يكيفون، ولا يمثلون، فلا يكيفون صفات الله؛ لأن ذلك مِمَّا استأثر الله بعلمه، فلا يعلم كيفياتها إلا هو وحده تعالىٰ، ولأنَّ من شرط معرفة الكيفية، أن يكون الإنسان قد رأى الشيء حتى يكيّفه، فإذا سألتَ إنساناً عن سيارة جديدة تريدُ شراءها، وأنت لم ترها، لكنه رآها؛ فإنك ستسأله عن صفتها، وعن كيفيتها، فيصفُها ويكيّفها لك؛ لأنه رآها، ولولا أنه رآها لما وصفها لك، أو كيَّفها؛ ونحن لم نر الله حتى نكيّفه، وهذا لا ينفي ثبوتها في نفس الأمر ـ أي: الكيفيّة ـ لكن أهل السنة لا يكيفون، ولا يقولون: إن صفات الله كيفيتها كذا وكذا. كما أن ذاته ﷻ لا يعلم كيفيتها إلا هو. فكذلك صفاته لا يعلم كيفتها إلا هو ﷻ.

فما سبق شَرْحُه، هو معنى قول المُصنِّف ـ رحمه الله ـ: (**ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه**) وعلى هذا: فأهل السنّة لا يقولون: إن صفات الله، واستوائه، كاستواء المخلوق ـ كما يقول ذلك المشبهة ـ ولا يقولون: إن علمه كعلم المخلوق؛ لأن الله ﷻ لا سَمِيَّ له، ولا كُفء له، ولا نِد له، ولا يقاس بخلقه، فلا سَمِيَّ له يعني: ليس هناك شيء يساميه ويماثله، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، يعني: مماثلاً ومُسامياً.

ولا كفء له: يعني: لا أحد يكافئه؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤].

ولا مثيل له: كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ولا ند له أي: ليس له نديد، ولا مثيل، ولا نظير ﷻ؛ فهو: الأحد، الصمد.

۞ وَلا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ ﷻ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلاً وَأَحْسَنُ حَدِيثاً مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ؛ بِخِلافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

الشَّرْحُ

(ولا يقاس بخلقه)، يعني: إذا تقرَّر أن الله تعالىٰ لا سَمِيَّ له، ولا كفء له، ولا نِدَّ له؛ فلا يُقاس بخلْقة قياساً يقتضي المساواة؛ للتباين بين الخالق والمخلوق، فلا يمكن أن يُقاسَ بأحدٍ مِنْ خَلْقِه قياسَ تمثيلٍ، أو قياس شبه، أو قياس دلالة.

فالقياس هو: أن تقيس الفرع على الأصل، كما يقول الفقيه إذا أراد أن يقيس الأرز على البر في الربا، فيقول: الأرز كالبُر في جريان الربا في كُلٍّ منهما؛ بجامع الطُعم، فهذا قياسٌ، جَمَعْتَ فيه الفرع والأصل في الحُكْم لعلة جَمَعَتْ بينهما؛ وهو الطعم. فالله تعالى لا يُقاس بخلقه، ولا يُجعل مع أحدٍ من مخلوقاته في علة تجمعهما؛ لأنه لا مثيل له، ولا شبيه له، بخلاف المخلوقات التي نقيس بعضها على بعض؛ لما بينهما من الشَّبه، أما الله ﷻ فلا شبيه له، ولا يُجعل مع غيره في قياس واحد، سواءٌ أكان: قياس دلالة، أو قياس شَبَه أو تمثيل.

فالله سبحانه أعلم بنفسه، وأحسن حديثاً، وأصدق قيلاً من خلقه، وقد أخبر عن نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، عن صفاته وأسمائه، فنحن نثبت ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، ولا نحرف، ولا نكيف، ولا نمثل؛ لأنه ﷻ أعلم بنفسه من غيره.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

معناه: أن قوله سبحانه: أصدق القول، وحديثه أحسن الحديث؛ وهو قد أخبر عن نفسه بهذه الصفات والأسماء؛ فنثبتها له، ولا نحرفها. ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

وكذلك رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صادقون ومصدوقون.

فهم صادقون فيما أخبروا عن الله، من الأسماء والصفات، والأمور الغيبية، وما جاؤوا به من الشرائع.

ومصدوقون: من قِبَلِ من أرسلهم؛ ﷻ، فهم صادقون ومصدوقون. صادقون فيما قالوا، ومصدوقون فيما أخبروا؛ لأن الله تعالى هو الصادق في قيله، فما أوحاهُ إليهم كذلك؛ فهم مصدوقون من قِبَلِ الله، وهم صادقون فيما أخبروا عن الله ﷻ.

وإذا كان ذلك كذلك؛ فإنه يجب إثبات الأسماء والصفات، فلا تُحرَّف، ولا تُبدل، ولا تُغيَّر، ولا تُمثل.

ومن الأدلة على كون الرّسل صادقين ومصدوقين، حديثُ ابن مسعود رضي الله عنه ـ وهو من أحاديث الأربعين النووية ـ قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «**وهو الصادق المصدوق إن أحدكم....**» إلخ[1].

فالرسل ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، يعني: من الكذابين، والمفترين، الذين يقولون عليه في أسمائه وصفاته، وفي شرعه ودينه، ما لا يعلمون، كاليهود المفترين، الذين يقولون على الله الكذب. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس: ٦٩].

وقول المصنف: (بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون)، فيه تنبيه

(١) انظر: صحيح البخاري (٦٠، ٣٢٠٨)، وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه.

على أن القول على الله بلا علم؛ من أعظم الجرائم، وهو فوق الشرك بالله؛ لأن الله ﷻ جعل القول عليه بلا علم، فوق الشرك به؛ كما قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]؛ فالقول على الله بلا علم؛ يشمل الشرك، ويشمل غيره.

فالشرك قولٌ على الله بلا علم، ويشمل أيضاً القول على الله بلا علم؛ الكلام في أسمائه وصفاته، كأن يقول قائلٌ: إن من أسمائه كذا؛ بغير علم، أو: من صفاته كذا. ومن القول على الله بلا علم؛ التكلم في أحكامه وشرعه ودينه بدون علم.

وقد أخبر الله أن القول «على الله بلا علم» مما يسوِّل به الشيطان إلى طائفة من الناس، ويأمرهم به، ويريد إيقاعهم فيه؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

فالقول على الله بغير العلم، من أكبر طرق الشيطان، التي يدعو إليها؛ لإغواء العباد وإضلالهم.

۞ فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلامَةِ مَا قَالُوهُ مِنْ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَهُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

الشَّرْحُ

(**سَبَّحَ نفسه**)؛ التسبيح هو: التنزيه، أي: تنزيه الله عما لا يليق به؛ بأن يوصف بما لا يليق به من الصفات، أو يُسمَّى بما لا يليق به من الأسماء، أو يُنسب إليه في شرعه ودينه ما لا يليق به. فسبَّح نفسه ونزَّهها وقدَّسها سبحانه

عن النقائص والعيوب، ولهذا ورد مشروعيةُ التسبيحِ للمسافر إذا هبط **ثنيةً**؛ تنزيهاً له عن السفول، وإذا علا نشزاً فإنه يكبر الله، بقوله: قائلاً: الله أكبر؛ تعظيماً لله، وأنه أكبر من كل شيء، فإذا صعد وارتفع؛ كبَّر، وإذا هبط وادياً؛ سبَّح، تنزيهاً له، كما ثبت عن جابر رضي الله عنه، قال: «كنا إذا صعدنا كبرنا وإذا نزلنا سبحنا»(١)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبحوا»(٢).

فالله تعالى سَبَّح اللهُ نَفْسَهُ عمَّا يصفه به المفترون، والكافرون، والظالمون، وسَلَّمَ على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص؛ فالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أقوالهم سالمة من العيب والنقص.

وحَمِدَ نفسه؛ لأنه مستحق للمحامد كلها.

والمخالفون للرسل الذين وصفوا الله بما لا يليق به، وتكلموا عليه بدون علم؛ هم الكفرة والمعطلة، وغيرهم.

فإن الله سبحانه وتعالى جمع فيما وَصَفَ نفسه بين النفي والإثبات؛ فالنفي معناه: نفي النقائص والعيوب عن الله، والإثبات معناهُ: إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى.

والنفي في الكتاب والسنة إنما يأتي مجملاً، وهذا هو الكمال في هذا الباب، وهي طريقة القرآن والسنة؛ تُنفى النقائص والعيوب عن الله إجمالاً، كقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]. أما الإثبات فإنه يكون مفصلاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٩٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٣٣٣)، والدارمي (٢٦٧٤)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٦٢) موقوفاً.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٩٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٩).

يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [سبأ: ٢]، وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

فالصفات تُثبت لله تفصيلاً، كصفة العلو، والاستواء التي دلت عليها النصوص، وكذلك: صفة الرؤية، وصفة المحبة، وهكذا سائر الصفات.

وقد يأتي النفي في النصوص مجملاً؛ للرد على المشركين، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ [الإخلاص: ٣]؛ لأن في نفي الولد ردّاً على المشركين الذين نسبوا الولد إلى الله ﷻ.

۞ فَلا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ: مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

الشَّرْحُ

معنى هذه الجملة: أنّ أهل السنة والجماعة لا يعدلون عَمَّا جاءت به النصوص، في كل شيء؛ وهم في باب النفي والإثبات ينفون نفياً مجملاً، ويثبتون إثباتاً مفصلاً.

فإذاً: منهج أهل السنة والجماعة؛ إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله، ويكون ذلك النفي نفياً مجملاً. أما أهل البدع فهم على العكس؛ ينفون نفياً مفصلاً، ويثبتون إثباتاً مجملاً، على عكس طريقة أهل السنة والجماعة.

فمن عبارات أهل البدع، وتوسعهم في باب النفي قولهم: إن الله ليس بذي جثة، وليس بذي أعضاء، وليس له لون، ولا طعم، ولا كذا، ولا كذا، فينفون نفياً مفصلاً. وهذا نَفْيُ ما يظنونه نقصاً؛ على وجه التفصيل، مع أنه مخالف للنصوص، ولمنهج أهل السنة، فإن طريقة المتكلمين هذه، لا تشتمل على مدحٍ ولا ثناء، بل حقيقتها تنقص للرب

سبحانه. وبيان ذلك: أنّ إنساناً لو وقف عند مَلك من ملوك الدنيا، أو أمير، أو رئيس، وجعل ينفي النقائص والعيوب عنه؛ واحدةً تلو الأخرى، ويقول مخاطباً الملكَ: أنتَ لست فقيراً، ولستَ زبالاً، ولا كنّاساً، ولا حجّاماً، ولستَ بكذا، وكذا؛ وجعل ينفي، ويفصّل في ذلك؛ لأدَّبهُ، وعاقبه؛ لأن هذه الطريقة فيها تنقص للممدوح، في الحقيقة، بخلاف ما إذا أجمل في النقائص، وقال: أنت لستَ كأحدٍ من رعيتك؛ أنت أعلى منهم وأجّل، فهذا نفي مجمل فيه مدح.

وأما النفي المفصّل ونفي العيوب والنقائص واحدة تلو الأخرى، فهذا مخالف لمنهج أهل السنة، وفيه تنقص للرَّب ـ كما قلنا ـ.

هذا هو الصراط المستقيم، وهو دين الإسلام، الذي جاء به القرآن والسنة، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم؛ الذين يَعلَمُونَ ويَعملون، بخلاف المغضوب عليهم؛ فإنهم الذين يعلمون ولا يعملون؛ كاليهود وأشباههم، وخلاف صراط الضالين؛ فإنهم يعملون بدون علم. أما أصحاب الصراط المستقيم وهم المنعَم عليهم؛ فإنهم يَعلَمون ويَعْمَلُونَ، ومن ذلك ـ وهو من العلم الذي آتاه الله المُنعَم عليهم ـ: أنهم في باب صفات الله، ينفون نفياً مجملاً، ويُثبتون إثباتاً مفصلاً.

۞ وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ الإِخْلاصِ الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

الشَّرْح

قوله: (فدخل في هذه الجملة) يعني: فيما وصف الله به نفسه من الإثبات المفصل، والنفي المجمل.

ومن أمثلة ذلك: سورة الإخلاص (﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾) التي تعدل ثلث القرآن[١].

وسميت بسورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت توحيد الله ﷻ؛ توحيد الأسماء والصفات؛ فصارت تعدل ثلث القرآن؛ لأن القرآن إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته، وإما إخبار عن الأمم الماضية وعن الغيوب المستَقبَلة، وإما أحكام.

وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ إحدى هذه الأنواع الثلاثة، فهي أخلصت التوحيد لله تعالى؛ فلذلك صارت تعدل ثلث القرآن، والقرآن إما قصص، أو أحكام، أو توحيد. كما أن سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ أخلصت توحيد العبادة لله، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ أخلصت توحيد الذات والصفات؛ فسميت سورة الإخلاص.

«وكان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في ركعتي الفجر»[٢]، قبل الصلاة، يفتتح يومه بالتوحيد، وكذلك «في الوتر»[٣] يقرأ بهما، «وفي ركعتي الطواف»[٤]، فسورة الإخلاص مشتملة على النفي المجمل، والإثبات المفصل.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨١٢)، والترمذي (٢٨٩٩، ٢٩٠٠)، وابن ماجه (٣٧٨٧)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٩)، وغيرهم كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أخرجه البخاري (٥٠١٣، ٥٠١٥)، وأبو داود (١٤٦١)، والنسائي (٢/ ١٧١)، وأحمد (٣/ ٨)، وعن أبي الدرداء ﷺ أخرجه مسلم (٨١١)، والنسائي (٦/ ٤٤٢، ٤٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٤٢، ٤٤٧)، والدارمي (٢/ ٤٦٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٧٢٦)، وأبو داود (١٢٥٦)، والنسائي (٩٤٤)، وابن ماجه (١١٤٨) كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٢٣)، والنسائي (٣/ ٢٤٤)، وابن ماجه (١١٧١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٣٦، ٢٤٥٠)، كلهم من حديث أبي بن كعب ﷺ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (١٤٢٣).

(٤) حديث صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٨٦٩)، والنسائي (٢٩٦٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٦٠٧٠)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨٦٩)، وأخرجه الترمذي موقوفاً (٨٧٠).

ومعنى: (الأحد) الذي لا نظير له، ولا شبيه له، فـ(الأحد) اسم من أسماء الله، فهذا إثباتٌ مفصل، وكذلك قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾، فيه إثبات الصمدية لله.

والصمد من أسماء الله، والصمد هو: الذي تَصْمد إليه الخلائق في حوائجها أي: هو المصمودُ إليه، الذي كل أحدٍ بحاجة إليه، وإن كان هو الصمد في نفسه، الكامل في صفاته، المستغني عمَّا سواه. وقيل في معنى الصمد: الذي لا جوف له، فلا يحتاج إلى طعام ولا شراب، ولا إلى أحد من المخلوقات، فهو يُطْعِم ولا يُطعَم، وتصمد إليه الخلائق في حوائجهم.

(﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾): وهنا جاء النفي المفصل؛ للرد على المشركين الذين نسبوا الولد إلى الله. وكذلك قوله: (﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾): نفي مجمل.

فهذه السورة الكريمة اشتملت على النفي المجمل، والإثبات المفصل؛ فهي داخلة في هذه الجملة، كما قال المؤلف: (وقد دخل في هذه الجملة). يعني في جملة ما وردت به النصوص من الإثبات المجمل، والنفي المفصل.

۞ وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

هذه آية الكرسي وهي (أعظم آية في القرآن الكريم)[١]، (وأعظم سورة في القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)[٢].

فمن قرأ (آية الكرسي) في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح. فهذه الآية العظيمة مشتملة على النفي المجمل، والإثبات المفصل، وهي عشر جُمل (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾) هذه الجملة الأولى.

ف(الله) أعرفُ المعارف، وهو لفظ الجلالة؛ وذكْره في الآية من قبيل الإثبات المفصل، وفيه إثبات اسمه (الله)، الذي هو عَلَمٌ على الرب ﷻ؛ لا يُطلق على غيره.

وقوله: (الحي القيوم): هذا من الإثبات المفصّل، لاسْمَيْنِ اشتملا على: صفة الحياة، وصفة القيوميَّة.

وقوله: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾): هذه هي الجملة الثانية، وفيها نَفْيٌ، لكنه جاء مفصَّلاً؛ للرد على اليهود الذين نسبوا إلى الله التَّعب، وقالوا: إن الله تَعِب واستراح يوم السبت، بعد خلق السمٰوات والأرض.

وقوله: (﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾): يعني: مالك المُلك، وَمَدبِّره.

وقوله: (﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾): هذه هي الجملة الرابعة، والمعنى: لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه، لعِظَمِه ﷻ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨١٠)، وأبو داود (١٤٦٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٤١، ١٤٢)، وعبد الرزاق في المصنف (٦٠٠١)، والحاكم (٣/ ٣٠٤)، كلهم من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧٤)، وأبو داود (١٤٥٨)، والنسائي (٢/ ١٣٩)، وابن ماجه (٣٧٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢١١)، من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة، أخرجه البخاري (٤٧٠٤)، وغيره.

وقوله: (﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾): هذه هي الجملة الخامسة؛ وفيها إثبات مفصل لصفة العلم.

وقوله: (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾): هذا نفي.

(﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾): هذه الآية فيها إثبات لاسمه العلي، ولاسمه العظيم، والعلي مشتمل على صفة العلو، والعظيم على صفة العظمة؛ لأن أسماء الله مشتقة.

ومن فوائد قراءة آية الكرسي ما ورد الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح**»(١).

۞ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢] ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٣١١، ٣٢٧٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٩)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٤٢٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ [الكهف: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩] ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤] وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج: ١٤].

وَقَوْلُهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣] ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ

حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وَقَوْلُهُ: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣] وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨] وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٣] وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٤] ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة: ١] ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ

أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٨٠] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢٢٠] ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤] وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النمل: ٥٠] وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ [الطارق: ١٥، ١٦] وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٩] ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨] وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن: ٧٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: ١١١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ١]

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ١، ٢] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢﴾ [المؤمنون: ٩١، ٩٢] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤﴾ [النحل: ٧٤] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٥٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٥٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٢]، وَقَالَ فِي سُورَةِ طَه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [٥].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [٥٩]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الٓمٓ السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤].

وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤] ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨] ﴿وَٱصْبِرُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦] ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢] ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء: ١٠] ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥] ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠١ ـ ١٠٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥].

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

بعد أن بيَّن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ طريقة أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي؛ أخذ في سرد الأدلة على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، وهذا فيه إثبات اسمه: الحي، وإثبات صفة الحياة له تعالىٰ.

وقوله سبحانه: (﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾).

هذا من الإثبات المفصّل، وفيه إثبات أربعة أسماء لله متقابلة، وهي: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فهذه أربعة أسماء؛ اسمان: لأزليته وأبديته؛ متقابلان.

واسمان: لعلوه وفوقيته؛ وعدم خفاء شيء عليه، وأنه لا يحجبه شيء.

فـ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾: الذي لا نهاية لأوليته وأزليته، فليس قبله شيء.

﴿وَٱلْآخِرُ﴾: الذي لا نهاية لآخره، فليس بعده شيء.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: الذي ليس فوقه شيء.

﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: الذي لا يحجبه شيء.

كما فسَّرها بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح في الدعاء الذي يقال عند النوم، وهو: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**»[1].

وقوله: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾: هذا من الإثبات المفصّل، وفيه: إثبات اسمه العليم، وإثبات اسمه الحكيم؛ إذ كل اسم من أسماء الله مشتق مشتمل على صفة. فالعليم مشتمل على صفة العلم، والحكيم على صفة الحكمة. فأسماء الله ليست جامدة.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجه (٣٨٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨١، ٥٣٦)، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: (﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾):

هذا فيه إثبات صفة العلم لله، والمعنى: أنه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج فيها؛ ما يدخل فيها من المياه، ومن الأموات وغيرهم، وما يخرج منها من النباتات وغيرها، وما ينزل من السماء من الأوامر وغيرها، وما يعرج إليها من أعمال العباد وغيرها، فلا يخفى عليه خافية ﷻ؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً.

وقوله: (﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾): هذه الآيات فيها إثبات صفة العلم لله، ونظيرها قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقوله: ـ كما في الآية المتقدمة ـ فيها عدا إثبات صفة العلم له تعالى؛ بيان انفراده واختصاصه بعلم مفاتح الغيب، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وكذلك قوله في تتمة الآية: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. فيه: إثبات الكتابة، وأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

والمراد بقوله: (﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾) اللوح المحفوظ.

وقوله: (﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾): فيه: إثبات العلم، وأنه يعلم ما في بطن الأنثى من الحمل، سواء أكانوا من الآدميين، أو من الدواب، أو الحيوانات، أو غيرها. فهو سبحانه يعلم حملها ويعلم أوان وضعها، فهي لا تضع إلا بعلمه ﷻ، وتقديره وخلقه.

وقوله تعالى: (﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾...).

فيه: إثبات صفة العلم، وصفة القدرة.

وقوله: إنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾: هذا فيه إثبات اسمه الرَّزَّاق، وفيه: إثبات صفة القوة، فَمِنْ أسمائه ﷻ الرزاق، ويشتمل هذا الاسم على إثبات صفة الرَزَقَ. والرِّزْق للمخلوق: هو ما يرزقه اللهُ العبادَ؛ فالعبد مَرْزُوقٌ، سواء أكان مسلماً أو كافراً، وهذه الآية فيها أيضاً: إثبات اسمه (المتين).

وقوله: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

هذه الآية فيها نفي وإثبات، وتضمنتْ الردّ على المعطلة وعلى المشبهة، والممثلة. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾ رد على الممثلة.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة؛ حيث أثبتت الآيةُ صفة السمع والبصر لله سبحانه وتعالى.

وكذلك قوله في الآية: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾).

فيها إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالىٰ.

وقوله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، فيه: إثبات المشيئة لله، وإثبات القوة له سبحانه.

وقوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ...﴾): هذه الآية فيها إثبات المشيئة لله.

وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾، فيه: إثبات الإرادة لله، وصفة الحُكْم؛ أي: أنه يَحْكُم ويشرِّع، وأنه هو الحَكم العدل.

وفي الحديث: «**إن الله هو الحَكم وإليه الحُكم**»[1]. فمن أسمائه: الحكم، ومن صفاته أنه يحكم بين عباده بشرعه، الذي أنزله في كتابه، أو على لسان رسوله، ويحكم بين عباده حكماً قدرياً بما يُقدره عليهم من الموت، والأمراض، والفقر، والغنى، والعز، والذل، وغيره، ويحكم ﷻ بين عباده بنفسه حكماً جزائياً يوم القيامة ﷻ.

وقوله: (﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ...﴾): هذه الآية فيها من إثبات صفة الإرادة، والمراد بقوله هنا: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الإرادة الكونية.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٤٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١١)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٥، ٥٠٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٥)، من حديث هاني بن يزيد رضي الله عنه.

والإرادة نوعان: إرادة كونية خِلقِيةٌ قدرية، وإرادة دينية شرعية. وكلها ثابتة لله، فما أراده الله كوناً وقدراً، فإنه لا يتخلف، وما أراده ديناً وشرعاً، فقد يحصل، وقد لا يحصل.

فتجتمع الإرادتان الكونية والقدرية في حق المؤمن المطيع، كأبي بكر رضي الله عنه، فقد أراد الله منه الإيمان قدراً وكوناً، وأراده منه ديناً وشرعاً؛ فاجتمع في حقه الإرادتان.

وتنفرد الإرادة الكونية في حق الكافر؛ كأبي لهب؛ أراد الله منه الكفر كوناً وقدراً؛ فوقع، وأراد منه الإيمان ديناً وشرعاً؛ فلم يقع، فوقع الأمر والإرادة الكونية، وهي لا تتخلف كما سبق.

فالكونية القدرية شاملة عامة لجميع ما في الكون؛ لا يتخلف المراد منها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

فإذا حكم الله بموت شخصٍ وأراد ذلك، فلا يمكن أن يتخلف مراده.

كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾، أما الإرادة الدينية؛ فكإرادة الله تعالى من العباد كلهم، أن يقيموا الصلاة؛ فمنهم من امتثل فأقام الصلاة، ومنهم من لم يمتثل ولم يقم الصلاة، فالإرادة الدينية الشرعية؛ قد يتخلف المرادُ منها.

فتجتمع الإرادتان في حق المطيع المؤمن، وتنفرد الكونية في حق العاصي والكافر.

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾: هذه الإرادة في الموضعين كونية قدرية، والمعنى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ يعني: كوناً وقدراً ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾. (﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾) يعني: كوناً وقدراً؛ يجعل صدره ضيقاً حرجاً.

وقد غَلِط كُلٌّ «من الجبرية والمعتزلة، وضلوا عن سواء السبيل؛ بسبب عدم تقسيمهم الإرادة إلى قسمين؛ فالجبرية والجهمية من الأشاعرة، لم يُثبتوا

إلا الإرادة الكونية، وأنكروا الإرادة الدينية، والمعتزلة والقدرية أثبتوا الإرادة الدينية الشرعية، وأنكروا الإرادة الكونية؛ فضلوا عن سواء السبيل.

وهدى اللهُ أهلَ السنة والجماعة فقسَّمُوا الإرادة إلى قسمين: كونية قدرية، ودينية شرعية، حسب ما جاءت به النصوص؛ وأخْذاً منها.

فمنشأُ ضلال الطائفتيْن المتقدمتيْن: التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوَّى بينهما الجبريةُ والقدرية، ثم اختلفوا؛ فالإرادة عند الجبرية واحدة، وهي الكونية؛ قالوا: الكون كله بقضاء الله وقدره؛ فيكون محبوباً مرضياً؛ حتى المعاصي والكفر! والإرادة عند القدرية واحدة؛ وهي: الشرعية؛ وقد قالوا: ما شرعه الله؛ فقد قدَّره وأمر به، وأحبَّه؛ وليست المعاصي محبوبة لله، ولا مرضية له، بل هي خارجة عن مشيئته وخلقه!! وقولهم معلومُ البطلان.

وقوله: (﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾...): هذه الآية فيها إثبات صفة المحبة.

وقوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ المراد: اعدلوا، والمقسطون هم العادلون. والآية فيها إثبات صفة المحبة لله، وفيها: الحث على الإحسان، وأن الله يحب المحسنين؛ الذين أحسنوا في عبادة ربهم، وأحسنوا إلى الناس؛ فهم أحسنوا المعاملة مع ربهم، وأحسنوا المعاملة مع الناس. والقاسطون والمقسطون هم: العادلون؛ الذين يعدلون في أنفسهم، وفي أهليهم، وفي ما ولوا.

وقوله: (﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾): فيه أيضاً: ما في الآية السابقة من إثبات صفة المحبة لله تعالىٰ. والمتقون هم: المؤمنون، الموحدون؛ الذين اتقوا النار، واتقوا غضب الله وسخطه؛ بالتوحيد، والإيمان، والعمل الصالح.

لكن منهم من اتقى الشرك والمعاصي والكبائر؛ فكملت تقواهم، ومنهم من اتقى الشرك ولم يتق المعاصي، فنقصت تقواهم.

وقوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾...): كذلك فيه: إثبات صفة المحبة لله. والتوَّابون: صفة مبالغة، ومعناها: الذين يكثرون التوبة، وهي: الإنابة والرجوع إلى الله، والإقلاع عن المعاصي، والعزم على عدم العودة إليها.

و﴿ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾: هم الذين يتطهرون من الأنجاس والأرجاس، المعنويّة والحسيّة، فالمعنوية: كالذنوب والمعاصي، والحسيّة: كالذي يُصيبُ البدنَ من النجاسات، أو كالتّطهر من الأحداث.

وقوله: (﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾...): فيه إثبات المحبة لله ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته، وقد أنكرها الجهمية والمعتزلة؛ لأن المحبة - بزعمهم - لا تكون إلا لمناسبةٍ بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق؛ ولذلك أنكروها، وقالوا: معنى الخلة والمحبة؛ الفقر، فحبيبُ الله، وخليل الله، أي: الفقير إلى الله! وهذا تفسير باطل؛ لأنه يلزم منه أن يكون عُبَّادُ الأصنام محبوبين إلى الله؛ لأنهم فقراء إلى الله! وهذا تفسير ظاهر الفساد.

وقوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾): كذلك فيه: إثبات صفة المحبة لله، وأنه يحب المجاهدين؛ وذلك لفضل الجهاد.

وقوله: (﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾...): فيه إثبات المحبة، وفيه أيضاً: أنَّ من علامة محبة الله للعبد، أن يوفقه لاتباع الرسول، عليه الصلاة والسلام، وهي من دلائل صدق العبد في دعواه محبة الله تعالىٰ. وهذه الآية تسمى عند أهل العلم بآية المحنة، أي: الامتحان والاختبار؛ فإنه قد ادعى قومٌ محبةَ الله؛ فامتحنهم الله بهذه الآية. فإذا ادَّعىٰ شخصٌ محبة الرسول؛ فننظر: إن توفَّر فيه شرط الاتباع للرسول ﷺ؛ فهو صادق في دعوى المحبة، فإن لم يتبع الرسول؛ فهو كاذب في دعوى المحبة.

وقوله: (﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾...) فيه: إثبات صفة الرضى لله، وأن الله يرضى كما يليق بجلاله وعظمته، وأنه يرضى عن المؤمنين.

وقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: فيها من أسمائه تعالى: الله، الرحمٰن، الرحيم، ومن صفاته: الألوهية، والرحمة.

وقوله: (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا...﴾): هذه الآية فيها إثبات صفة الرحمة، والعلم، لله تعالى؛ فرحمة الله شاملة لكل شيء، وكذا علمه محيط بكل شيء، وهذه الرحمة تشمل حتى الكافر، ومن رحمة الله بالكافر: أنه أمهله، ولم يعجل له العقوبة، بل يرزقه ويعافيه؛ وهو يشرك به، ويكفر به.

وقوله: (﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾...) فيه: إثبات صفة الرحمة لله تعالى، وهذه رحمة خاصة بالمؤمنين.

وقوله: (﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾) فيه: إثبات الرحمة، وإثبات الكتابة، فالله تعالىٰ يكتبُ، كما في حديث: «**إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش**»[1]؛ فهذه من الصفات الفعلية، فالله تعالىٰ كتب التوراة لموسى بيده.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيه إثبات اسمه الغفور، وإثبات اسمه الرحيم، واسمه الغفور مشتمل على صفة المغفرة، واسمه الرحيم مشتمل على صفة الرحمة.

وقوله: (﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾) فيه إثبات صفة الرحمة له تعالىٰ.

وقوله: (﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾) فيه: إثبات صفة الغضب لله تعالىٰ، وأنه يغضب، ولا يلزم أن يُشابه غضبه غضبَ المخلوق. والأشاعرة أوَّلوا صفة الغضب، وقالوا: الغضب معناه: إرادة الانتقام، ولا يمكن وصف الله بالغضب؛ لأن الغضب غليان دم القلب إرادة الانتقام؛ والله منزه عن ذلك. وهذا باطل، ونقول في الردّ عليهم: غليانُ دم القلب؛ إرادة الانتقام، هذا غَضَبُ المخلوق، أما غضب الرب فلا يُكيّف؛ فالله تعالى لا يُشْبِهُ أحداً في ذاته؛ فكذلك لا يُشبه

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣١٩٤، ٧٥٥٤) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥١) وغيرهم.

أحداً في صفاته. وكذلك أنكروا صفةَ الرضى، وقالوا: معناها: ميلُ الراضي إلى المرضيِّ عنه؛ وهذا لا يليق بالله. فَفَسَّروا الرضى بإرادة الثواب، أو بمعاني أخرى باطلة، والردُّ عليهم كالسابق.

وقولـه: (﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾).

فيه: إثبات صفة السخط لله، كما يليق بجلاله وعظمته، وأنه يسخط على الكفار.

وقوله: (﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾).

فلما آسفونا؛ أي: أغضبونا، وهذا فيه: إثبات الأسف لله، ومعناه: الغضب.

وقوله: (﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾).

فيه: إثبات حقة الكراهة لله، وأنه تعالى يكره، وأنها من الصفات الفعلية.

وقـولـه: (﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾...) فيـه: إثبات صفة المقت لله تعالىٰ، والمقت: أشد البغض. وفي الآية: أن الله يبغض بُغضاً شديداً؛ أن يقول الإنسان ما لا يفعل.

وقوله: (﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾...) فيه: إثبات صفة الإتيان، وأن الله يأتي يوم القيامة؛ كما يليق بجلاله وعظمته، لا يُكَيَّف ولا يُشَبَّه بإتيان المخلوق. وكذلك قوله: (﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾) فيه: إثبات صفة المجيء لله تعالىٰ، وهذا يكون يوم القيامة.

وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾.

الشاهد ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾: فيه: إثبات الإتيان للرب ﷻ كما يليق بجلاله وعظمته.

وقـولـه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾...﴾ فيـه: إثـبـات صـفـة الوجه لله ﷻ، والمعطلة يقولون: ويبقى وجه ربك، أي: ذاته، وينكرون هذه الصفة، والآية رَدٌّ عليهم، وفيها إثبات الوجه والذات لله سبحانه وتعالىٰ.

وقوله: (﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾...) فيه: إثبات الوجه لله ﷻ، والكلام على هذه الآية، كالكلام على الآية السابقة.

وقوله: (﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾) [ص: ٧٥]: هذا فيه: إثبات اليدين لله، ومما يدلّ على كونهما يديْن حقيقيتيْن: أنه ثَنَّىٰ اليدين وأضافهما إلى ضمير المتكلِّم (يدي)، ومثل ذلك: قوله تعالى: (﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾). أما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١]. فهذه ليست من آيات الصفات؛ لأنه جَمَعَ الأيدي وأضافها إلى ضمير الجمع، وذكر نفسه بلفظ الجمع الدال على التعظيم. والمراد: ما خلق، وليس المراد به صفة اليد، وإنما صفة اليدين يَدُلُّ عليهما قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾؛ حيث ثنى اليد، وأضافها إلى ضمير المتكلم، وكذلك قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾، دَلَّ على ما دلتْ عليه الآية السابقة.

وقوله: (﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ... بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾) فيه: إثبات اليدين لله ﷻ، وقد تقدَّم الكلام على هذه الآية.

وقوله: (﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾): بأعيننا: أي: بمرأى منا، وليس المراد به إثبات العينين؛ لأنه جَمَعَ الأعين وأضافها إلى الجمع (بأعيننا).

وإنما تؤخذ صفة العينين من حديث الدجال في الصحيح الذي رواه الشيخان: «إن الله لا يخفى، عليكم إن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى عينه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى»[1]، فهذا يؤخذ منه إثبات العينين لله ﷻ.

فالدجال أعور العين اليمنى والله ليس بأعور، له عينان سليمتان ﷻ.

﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾.

يعني: بمرأى منا، وهذا فيه: إثبات أن الله تعالى يرى كل شيء، وأنه لا يخفى عليه شيء.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، واللفظ له، ومسلم (١٦٩)، وغيرهم كثير من طريق عبد الله بن عمر، وفي الباب عن أنس بن مالك أخرجه البخاري (٧١٣١، ٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، وفي الباب عن ابن عباس ﷺ أخرجه البخاري (١٥٥٥، ٥٩١٣)، ومسلم (١٦٦).

قوله: (﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾).

الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة، وفيها إثبات أن الله تعالى يرى.

وقوله: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ فيه: إثبات صفة السمع لله ﷻ. وهذه الآية نزلت في مجادلة خويلة بنت مالك بنت ثعلبة، لما طلقها زوجها أوس بن الصامت؛ لما ظَاهَرَ منها، قال لها: أنتِ عليَّ كظهري أمي، فجاءت إلى النبي ﷺ وشكت إليه ﷺ أن زوجها ظَاهَرَ منها، ولا تدري ماذا تعمل، وكان رسول الله ﷺ يجادلها، ويقول لها: اتقي الله فإنه ابن عمك. فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»[(١)].

فجعلت تجادل وتحاور النبي ﷺ، وقالت: أشكو إلى الله صبية إن ضممتهم إلي ضاعوا، أو إليه جاعوا. وجعلتْ تشتكي إلى الله، وكانت عائشة قريبة منها، فأنزل الله تعالى من فوق سبع سموات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

فقالت عائشة: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»[(٢)]. فالله تعالىٰ سمع كلامها من فوق سبع سموات وأنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي

---

(١) حديث صحيح لغيره: أخرجه أبو داود (٢٢١٤، ٢٢١٥)، وأحمد في المسند (٦/ ٤١٠ ـ ٤١١)، وابن حبان في صحيحه (٤٢٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٢، ٣٩١ ـ ٣٩٣) بسياقات مختلفة، كلهم من طريق خويلة بنت ثعلبة رضي الله عنها، وفي الباب عن سلمة بن صخر أخرجه أبو داود (١٢١٣)، والترمذي (٣٢٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٢)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٧)، والدارمي (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، والحاكم (٢/ ٢٠٣)، والبيهقي (٧/ ٣٩٠)، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٢٠٨٧).

(٢) خير صحيح: عقله البخاري بصيغة الجزم باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، قبل حديث (٧٣٨٦)، والنسائي (٣٤٩٠)، وابن ماجه (١٨٨)، وأحمد في المسند (٦/ ٤١٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٨١)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١٩١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٨٩)، والبيهقي في السنن (٧/ ٣٨٢)، وغيرهم.

زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾. فهذه الآية فيها عدا إثبات السمع لله؛ إثبات البصر له تعالى.

وقوله: (﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ...﴾) فيه: إثبات صفة السمع له ﷻ.

وقوله في الآية نفسها: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ هذا فيه إثبات الكتابة لله ﷻ، وهي من الصفات الفعلية، وكذلك قوله: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ فيه: إثبات القول لله، وأنه يتكلم.

وقوله: (﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ...﴾) فيه: إثبات أن الله يسمع السر والنجوى.

وقوله تعالى: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى...﴾) فيه: إثبات السمع والرؤية، وأن الله يسمع المَسْمُوعَات كلها، ويرى كل شيء، ولا يحجبه شيء ﷻ.

وقوله: (﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾):

دَلَّ على إثبات الرؤية له تعالىٰ، وأنه يرى كل شيء.

وقوله تعالىٰ: (﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾):

فيه: إثبات القوة، والبطش، والأخذ، وأنها صفاتٌ له تعالىٰ وتقدَّس.

وقوله: (﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ...﴾): هذا من الصفات الفعلية التي تُثبت على أصلها، ولا يقال: من أسماء الله الماكر، وإنما يقال: إنَّ من صفته؛ أنه يمكر بالماكرين، كما يقال هذا أيضاً في قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، فلا يصح أن يقال: إن من أسماء الله الخادع، وإنما يخدع الله المخادعين، وكذلك يقال مثل هذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ فلا يقال: له من ذلك اسمٌ، فيقال: «كائد»، وكذلك لا نصف الله بتلك الصفات على وجه الإطلاق، بل نقول: إن الله يكيد من كاد. فهذه الصفات التي جاءت على لفظ الفعل، فتبقى على لفظ الفعل، والتي جاءت مضافة تبقى مضافة؛ فيقال: الله يخادع مَن خدع، ويمكر بمن مكر، ويكيدُ من كاد.

وقوله: (﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٠﴾﴾) فيه: إثبات أن الله يمكر بالماكرين، وهذا هو الكمال؛ لأن هذا من باب المقابلة والمُجازات، فالخداع في مقابلة المخادِع، وهذا من الكمال. وكذلك المكر بالماكر: كمالٌ، لكن خداعٌ من غير مقابلة، ومكرٌ من غير مقابلة؛ هذا لا يكون كمالاً. ولهذا لا يُقال: إنَّ من صفات الله الماكر، والمخادع، وإنما يقال: يمكر الله بالماكرين، ويخادع المخادعين، ويكيد الكائدين، وهذا كمالٌ كما سبق؛ لأنه في مقابلة من يخدع، ويمكر، ويكيد؛ فهو مدحٌ وكمالٌ، أمَّا الوصف بذلك على سبيل الإطلاق؛ فهو ذمٌ ونقصٌ يتنزه عنه الخالق.

وقوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ فيه: إثبات اسم العفو، واسم القدير. والعفو مشتمل على صفة العفو، والقدير على صفة القدرة.

وقوله: (﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ...﴾) فيه: إثباتُ اسمِ الغفورِ، واسم الرحيمِ، المشتملتيْن على صفة المغفرة، والرحمة.

وقوله: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾) فيه: إثبات العزة لله، وأنها صفة من الصفات؛ كسائر صفاته تعالىٰ.

وقوله عن إبليس: (﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ...﴾): هذا أيضاً فيه: إثبات صفة العزة لله تعالىٰ، وفيه: أنه لا بأس بالقسم بصفات الله، ويدل عليه قوله في الآية عن إبليس، حين أقسم قائلاً ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾، وكذلك ما ثبت في صحيح البخاري في قصة الرجل؛ الذي هو آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً فيها، أنه قال: «وعزتك لا أسأل غيرك» فهذا قَسَمٌ بعزّة الله، التي هي صفة من صفاته، والآية تَدُلُّ على أن إبليس كان مُقراً في الأصل بأن الله مستحق للعبادة، ومقرّاً بصفات الله ﷻ، ولكنه لم يعمل، واستكبر عن العبادة.

وقوله: (﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾): «تبارك»، هذا من الصفات الفعلية، وهذا لا يُطلق إلا على الله وحده، وهنا قد يغلط بعض

الناس؛ فإذا زاره إنسان مثلاً، يقول له: تباركت علينا: وهذا غلط؛ لأن هذا اللفظ «تبارك»؛ لا يقال إلا في جناب الرب، كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، و﴿نَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ولكن يُقال: هذا شخص مبارك؛ إذا كان فيه خير. كما قال الله عن عيسى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

فالله تعالى هو المتبارك، وعبده المبارك، فإذا كان الشخص فيه خير؛ يقال له: أنت رجل مبارَك؛ وهذه من بركتك، يعني: من البركة التي جعلها الله فيك، أما أن يُقال: تباركتَ علينا؛ فلا يجوز ذلك، بل لا يقال ذلك إلا في جناب الرب.

وقوله: (﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا...﴾): الاستفهام هنا للنفي، والسَّمِيُّ: المشابه والمماثل. فالنفي في هذه الآية مجملٌ، وقد تضمنت إثبات كماله المطلق، فالله تعالى لكونه كذلك؛ فلا أحد يُساميه، ولا يناظره.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤...﴾ معناه: ليس له مثيل، ولا مكافئٌ، وهذا أيضاً نفي مجمل، والمرادُ: إثبات كمال ضده؛ فَنَفْيُ الكفءِ لله؛ لكمال صفاته ﷻ.

وقوله: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ...﴾): يعني: أمثالاً ونظراء، وكل هذا من النفي المجمل.

وقوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا...﴾): يعني: أمثالاً ونظراء.

وقوله: (﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ...﴾) فيه: إثبات أن الحمد لله، وأن الله لم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك في ملكه، وَنَفْيُ أن يكون له ولي من الذل، وإثبات التكبير والتعظيم لله.

وقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ...﴾ فيه: تسبيح الله وتنزيهه عن كل صفات النقص، وإثبات أن له الملك، وله الحمد، وإثبات القُدرة له تعالى، وأنه على كل شيء قدير.

وقوله: (﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾): تَقدَّم معنى (تبارك)، وبيان أن الله هو المتبارك. والآية فيها أيضاً: إثبات الملك لله، ونفيُ أن يكون له ولد، وهو ردٌّ على من ادَّعىٰ له ذلك. وفيها كذلك: نفي أن يكون له شريك في ملكه، وفيها: إثبات خلْقه لكل شيء، وإثباتُ القدر. وإثبات المُلك ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

هذا فيه: نفي الولد عن الله، أو أن يكون معه إلٰه؛ تنزيهاً لله ﷻ عن كل ذلك.

وقوله: (﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٩٢...﴾) فيه: إثبات العلم لله تعالىٰ، وتنزيهه عما يصفه به المشركون.

وقوله: (﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧٤...﴾) هذا أيضاً فيه: إثبات العلم لله ﷻ.

وقوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾) هذه الآية تدلّ على تحريم القول على الله بلا علم.

وقوله: (﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥...﴾) فيه: إثبات الاستواء لله ﷻ، ومعناه الصعود، والعلو، والارتفاع، والاستقرار.

فمعنى ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استقر، وعلا، وصعد، وارتفع. أما كيفية الاستواء؛ فلا يعلمها إلا الله ﷻ. ونقول: استوى استواءً حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، وارتفع على العرش، وعلا، واستقر، كما يليق بجلاله وعظمته، لا يُكيَّفُ، ولا يُمَثَّلُ، بل نُقِرُّ بذلك، ونُثبتُه على ما سبق بيانُه.

وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ذكر المؤلف أن استواء الله على عرشه، ورد في سبعة مواضع؛ ثم ساق الآيات في ذلك، وهي في سورة الأعراف، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد، وفي سورة يونس، وأتى بـ(على) التي تدل على العلو

والارتفاع ثم ليُعْلم: أنَّ الاستواء على العرش؛ عُلُوٌّ خاص، وهو من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئته ﷻ.

وقوله: (﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾) فيه: إثبات العلو لله ﷻ؛ لأن الرفع يكون من الأسفل إلى الأعلى.

وكذلك قوله: (﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ...﴾): يَدُلُّ على ما دلت عليه الآية السابقة من إثبات العلو لله تعالى.

وقوله: (﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ...﴾): دَلَّ على إثبات العلو أيضاً.

فكل هذه العناوين وما سيذكره المؤلف بَعْدُ، تُقرِّرُ إثباتَ العلو لله ﷻ.

وقوله: (﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾): هذه الآية فيها: أن فرعون طلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً ليطلع إلى إله موسى؛ لأن موسى أبلغه بأن الله في العلو.

وقد غلط الجهمية وعكسوا وحَرَّفوا الآية، وقالوا: إنها دليلٌ على أن فرعون كان يُثبت العلو، فمن أثبت العلو فهو على مذهب فرعون، وقولهم معلوم البطلان.

وقوله: (﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾) هذا فيه: إثبات العلو؛ لأن السماء في اللغة: المراد بها العلو، وهذا واردٌ في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الرعد: ١٧]، فالمراد من السماء: العلو. أو تكون (في) بمعنى: (على) ويكون المراد بالسماء: الطباق المبنية. والعربُ تَضَعُ (في) في موضع (على) كما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وكما في قول فرعون، لمن آمن من السحرة: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

وقوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ...﴾) الشاهد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فيه: إثبات الاستواء والعلو.

وقوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ

مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا . . .﴾) هذا فيه: إثبات صفة العلو لله ﷻ، وصفة الاستواء على العرش.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾: فيه إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالىٰ.

قوله: (﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ . . .﴾) إلى قوله: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ هذا فيه إثبات صفة المعية لله تعالىٰ، وهذه المعية بالعلم، وهو سبحانه مع ذلك فوق العرش، ومعهم بعلمه وإحاطته واطلاعه، ومع المؤمنين بنصره وتأييده، وهو ـ كما سبق ـ فوق العرش ﷻ، وليس مختلطاً بالمخلوقات، كما قاله الجهمية والمعطلة.

وقوله: (﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا . . .﴾): هذه المعية المذكورة في الآية معية خاصة، والمعية نوعان: معية عامة، ومعية خاصة.

فالمعية العامة: تكون للمؤمنين والكفار؛ فالله مع الجميع بإحاطته، واطلاعه؛ مع المؤمن والكافر، لا يخفى عليه شيء.

والمعية الخاصة: تكون للمؤمنين؛ فهو معهم بعونه، ونصره، وتأييده، وتوفيقه، وتسديده والقائل: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. هو النبي ﷺ قاله لأبي بكر، وهما في الغار. فهذه المعية المذكورة هنا معية خاصة؛ معية الله تعالى للنبي، وأبي بكر.

وقوله: (﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾): فيه أيضاً: دليلٌ على المعية الخاصة، وهذه لموسى وهارون عليهما السلام.

وقوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ . . .﴾): كذلك هذه معية خاصة؛ بالتأييد، والنصر، والحفظ والكلاءة، ومع جميع الخلق؛ بعلمه، وإحاطته، ونفوذ قدرته، ومشيئته.

وقوله: (﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ . . .﴾): كذلك هذه معية خاصة، فهو سبحانه مع الصابرين؛ يسددهم ويوفقهم.

وقوله: (﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾): هذه معية خاصة؛ للصابرين.

وقوله: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا . . .﴾) فيه: إثبات الكلام لله، والقول،

والحديث. كما في قوله تعالى: (﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾).

وقوله: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا...﴾) الشاهد: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يدُلُّ علىٰ إثبات الكلام لله.

وقوله: (﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا...﴾): كذلك يَدِلُّ علىٰ إثبات الكلام لله ﷻ.

وقوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾): الشاهد (كلمه ربه) يَدُلُّ علىٰ إثبات الكلام لله تعالى.

وقوله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾...﴾: يَدُلُّ على إثبات الكلام لله ﷻ والمناداة تكون من بُعد، والمناجاة مِنْ قُرْبٍ.

وقوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ...﴾: تقدَّم أن النداء هو الكلام من بُعد.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ...﴾: دَلَّ على ما دلتْ عليه الآيات التي سبقتها.

وقوله: (﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾): الشاهد قوله: (كلام الله)، فيه إثبات الكلام لله.

وقوله: (﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ...﴾): الشاهد قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ فيه: إثبات الكلام لله.

وقوله: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ...﴾: الشاهد (لا مبدل لكلمات الله) فيه: إثبات الكلام لله.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ...﴾: الشاهد أن القرآن يقص، والقصص إنما يكون بالقول، فإذا كان القرآن يُقَصُّ فهو إذن كلام الله.

وقوله: (﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ...﴾): والكتاب هو كلام الله؛ وهو القرآن الذي أنزله وتكلم به.

وقوله: (﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا...﴾): والقرآن هو كتاب الله وكلامه.

وقوله: (﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾) فيه: إثبات أن القرآن كلام الله منزل وليس بمخلوق، خلافاً للمعتزلة القائلين بأنه مخلوق.

انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الحديث عن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فذكر قوله تعالىٰ: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾): وهذه الآية فيها أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة. ومعنى (ناضرة) أي: من النُضرة، والبهاء والحُسن.

ولهذا تُكْتب بالضاد (ناضرة) أخت الصاد، والكلمة التي في الآية بعدها ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ تُكتَبُ بالظاء أخت الطاء، يعني: تنظر إلى ربها بأعينها، فالأولى: ناضرة من النضرة والبهاء والحسن، والثانية: من النظر، أي: ناظرة بأعينها.

هذه النصوص فيها رد على من ينكرون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، وهم المعتزلة الذين قالوا: بأنه لا يُرى؛ لأن الذي يُرى فهو محدود ومتحيز ـ نعوذ بالله من قولهم وظنهم ـ.

والأشاعرة أثبتوا الرؤية، ولكن من غير جهة، فقالوا: يُرى لا من أمام، ولا من خلف، ولا من يمين، ولا من شمال. وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المرئي لا بد أن يكون مواجهاً للرآي ومقابلاً له.

وقوله: (﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ . . .﴾) فيه: إثبات الرؤية؛ أي: المؤمنون ينظرون إلى ربهم.

وقوله: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ . . .﴾): الحسنى؛ الجنة. والزيادة؛ النظر إلى وجه الله الكريم. كما ثبت هذا في صحيح مسلم من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من**

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية «للذين أحسنوا وزيادة»[١].

فالذي فسر الحسنى بالجنة، والزيادة بالرؤية إلى وجه الله الكريم، هو النبي ﷺ، وهذا أعظم نعيم يناله أهل الجنة، نسأل الله أن نكون منهم.

وقوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فُسِّرَ بأنهم في الجنة لهم يشاءون فيها من نعيمٍ، والمزيد هو: النظر إلى وجه الله الكريم.

۞ وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى كَثِيرٌ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِباً لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

الشَّرْحُ

يعني: أن الآيات التي وردت بإثبات أسماء الله وصفاته كثيرة، وانظر كم سرد الشيخ رحمه الله منها، مع أن ما تركه أكثر وأكثر لكن أين هم الذين يتدبرون القرآن حق تدبره؟!

فالشيخ رحمه الله لم يأتِ بشيء من عنده، بل كل هذه النصوص التي ساقها ترد على المعطلة، الذين أنكروا هذه الصفات التي اشتملت عليها هذه النصوص.

فإذا تدبر المرءُ القرآن، وكان طالباً للهدى؛ تبيّن له الحق، كما نبّه عليه الشيخ رحمه الله، أما إذا كان لا يتدبر القرآن ولا يطلب منه الهدى، مثل المبتدعة؛ لا يطلبون الهدى من القرآن، بل هم من الأساس قبل أن يقرؤوه لا يريدون منه الهداية، ولا يريدون إثبات صفات الله، بل يحرفون نصوص القرآن، ولذلك لا يُوَفَّقُون إلى الحق.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٨١)، واللفظ له، والترمذي (٣١٠٥)، وابن ماجه (١٨٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٢)، والدارمي في الرد في الجهمية ص٤٦، وابن خزيمة في التوحيد (١٨١)، والطيالسي في مسنده (١٣١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٧٢)، وغيرهم، كلهم من حديث صهيب رضي الله عنه.

سبق لنا استعراض الآيات الدالة على إثبات الأسماء والصفات، الكثيرة، كالمحبة، والرضا، والرحمة، والمغفرة، والإرادة، والمشيئة، وكذلك أيضاً: الكلام، والرؤية، وغيرهما.

ثم ثنى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بها الأحاديث التي تدل على صفات الله ﷻ، وبيَّن أنه يجب على المسلم أن يُثبت ما أثبته الله تعالى في كتابه من الصفات، وينفي ما نفاه الله عن نفسه، وكذلك يجب أن يثبت ما أثبته النبي ﷺ في السنة المطهرة، وينفي ما نفاه النبي ﷺ في السنة المطهرة.

وسيأتي بيان ذلك عند قول المؤلف: «فصل في سنة رسول الله ﷺ، فالسنة تفسِّر القرآن وتبينه، وتدل عليه؛ وتعبّر عنه» إلخ.

۞ (فَصْلٌ): فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ؛ وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ ﷺ بِهِ رَبَّهُ ﷻ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

السُّنَّة تبيّن القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

والسنة المطهرة لها أحوال ثلاثة مع القرآن الكريم:

الحالة الأولى: أنها تُبيِّن، وتفسر، وتوضح ما أُجمِلَ في القرآن؛ فالله تعالى ذكر أحكاماً مُجْمَلَةً في القرآن، كقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فجاءت السنة وبينت أنها خمس صلوات، وأن صلاةَ الظهر: أربعُ ركعات، والعصر: أربعُ ركعات، والمغرب: ثلاثُ ركعات، والعشاء: أربعُ ركعات، والفجر ركعتان.

والحالة الثانية: أنها تُقَيِّد المطلق، وتخصص العام، فتأتي بعضُ الأحكام في القرآن مطلقة، فتجيء السنة وتُقيِّدها، وأحياناً تأتي عامة فتأتي السنة فتخصصها.

الحالة الثالثة: أنها تأتي بأحكام جديدة، ليست في القرآن، كتحريم كل ذي نابٍ من السباع، وكل ذي مخلبٍ من الطير، فهذا ليس في القرآن وكذلك: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والجمع بين المرأة وخالتها، فكل هذه من الأحكام التي جاءت بها السنة، وليست في القرآن.

فالخلاصة: يجب الإيمان بما وصف به النبيُّ ﷺ رَبَّه من الأحاديث، لكن ليس بكل حديث يَرِدُ في هذا الباب؛ بل يشترط أن تكون صحيحةً؛ تلقاها أهل العلم بالقبول. أما إذا لم يصح الحديث فلا يُعمل به، ولا يُحتج به على إثبات شيء من الصفات، فما وَرَدَ في هذا الباب مِمَّا لم يصح سنده؛ فلا يَعَوَّل عليه.

فمن أمثلة الأحاديث الصحيحة التي ثبتت في هذا الباب: ما أخرجه البخاري ومسلم، في حديث النزول، وهو من الأحاديث المتواترة، **(بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر... إلخ)**[1].

والنزول من الصفات الفعلية، فنثبتُه كما يليق بجلال الله وعظمته، لا نكيفه بل نقول: النزولُ معلوم في اللغة العربية معناه، لكن كيفية نزول الرب؛ هذا هو المجهول. كما قال الإمام مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»[2]. وهذه قاعدة عامة في جميع الصفات.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١١٤٥، ٧٤٩٥)، واللفظ له، ومسلم (٧٥٨)، وأبو داود (١٣١٥)، والترمذي (٤٤٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٠)، وابن ماجه (١٣٦٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٨٧)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٢٧٤)، والعين والأثر لابن عبد الباقي ص١٠٩، والمختارة في أصول السنة لابن البنا ص١٤٥.

فالله ﷻ ينزل كيف يشاء؛ وهو فوق العرش ﷻ.

۞ وَقَوْلُهُ ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**» الْحَدِيثُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

وهذا الحديث من الأحاديث المتفق عليها، وفيه: إثبات الفرح لله ﷻ، والفرح من الصفات الفعلية[1].

وورد في هذا الحديث أيضاً: أن الرجل الذي ضلّتْ دابته ثم وجدها، قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك» أخطأ من شدة الفرح، فهذا فيه دليل على أن من تكلم بكلمة الكفر دون قَصْدٍ؛ لا يكفر، وهذا الرجل لم يقلها متعمداً، بل قالها مندهشاً؛ من شدة الفرح؛ فلا يكفر. أما إذا تكلم بكلمة الكفر قاصداً؛ مختاراً؛ ذاكراً؛ كَفَرَ. والحديث ـ كما سبق ـ فيه: إثبات صفة الفرح لله ﷻ، كما يليق بجلاله وعظمته.

۞ وَقَوْلُهُ ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

وهذا الحديث من الحديث المتفق عليه؛ رواه الشيخان؛ البخاري ومسلم، وهو يدلّ على إثبات الضحك لله، وهو من الصفات الفعلية؛ فالله تعالى يضحك، كما يليق بجلاله وعظمته.

وقد يُشْكِل حديث أبي هريرة هذا على البعض، في كون القاتل يَقْتُلُ ثم

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، واللفظ له، والترمذي (٢٤٩٧، ٢٤٩٨)، وغيرهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

يدخل الجنة، والجواب: أن أحدهما كان مسلماً يجاهدُ في سبيل الله، فقتله كافرٌ، ثم مَنَّ اللهُ على الكافر فأسلم، فدخل الجنة؛ فالأول دخل الجنة؛ لأنه مسلم وقُتِلَ شهيداً، والثاني الذي قتله تاب الله عليه وأسلم؛ فدخل الجنة.

ونقول تعليقاً على ذلك الحديث: صفة الضحك صفة حقيقية، معلومة المعنى، وكيفيتها مجهولة لنا، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة.

۞ وَقَوْلُهُ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أزلين قنطين فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث فيه إثبات صفة الضحك والعجب لله تعالى، وقوله: (**ضحك ربنا من قنوط عباده**)[1] أي: إذا تأخر عنهم المطر؛ قنطوا ويئسوا، وقوله: (وقَرْب غِيْرِهِ) والواو هنا بمعنى «مع» والغِير: هي الانتقال من حال إلى حال.

فالله يُغيِّر من حال إلى حال. والمعنى: كيف يصيبهم اليأس والقنوط، مع قُرْب تبديل حالهم؟! أي: حالة الجدب والقحط التي أصابتهم. والله تعالى قدَّرَ أن تكون هذه الحالة تنتقل سريعاً وتزول، وأنه سيأتي بعدها الغيث، والرحمة، والخير، فهو ﷻ يضحك من قنوط عباده، وكونهم ييئسون، ويظنون ألّا فرج؛ والفرجُ قريب.

ففي هذا الحديث إذاً: إثبات العجب والضحك لله ﷻ، كما يليق بجلاله وعظمته، ويدل على إثبات العجب لله تعالى قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢] على قراءة من قرأ بضم التاء.

---

(١) حديث حسن لغيره: أخرجه ابن ماجه (١٨١)، وأحمد (٤/ ١١ ـ ١٢)، والطيالسي في مسنده (١٠٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٥٤)، وعبد الله بن أحمد في زوائد السنة (٤٥٣)، والدارقطني في الصفات، والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٠٧)، كلهم من حديث أبي رزين ﷺ، وللحديث شواهد أخرى. انظر: الصحيحة (٢٨١٠).

۞ وَقَوْلُهُ: «**لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ - فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

هذا حديث متفق عليه[(١)]، وفيه إثبات القَدَم لله ﷻ، ووقع في لفظ لأحد روايات هذا الحديث: (**يضع رِجْله**)[(٢)] فنقول: نثبتُ لله تعالى صفة القَدَم والرِّجْل، كما يليق بجلاله وعظمته، وكذا سائر الصفات. فله ﷻ قَدَم لا تشبه أقدام المخلوقين، كسائر صفاته. وفي الحديث: أن جهنم لا تزال تطلب وتقول: هل من مزيد، هل من مزيد، هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، أي: حسبي حسبي؛ أي: يكفي يكفي.

۞ وَقَوْلُهُ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا آدَمَ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وسعديك. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث متفق عليه[(٣)] رواه الشيخان، وفيه: إثبات الكلام لله ﷻ، وأنه يتكلم بصوتٍ يُسمع، وأنه ينادي، والنداء يكون بصوت، وهو الكلام مِنْ بُعد، والنجاء هو الكلام من قُرب. كما في قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٤٨، ٤٨٤٩، ٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، والترمذي (٢٥٦١)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٧٦)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح تقدم فيما قبله.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٤١، ٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]. وكله ثابتٌ لله، فالشاهد قوله في هذا الحديث الصحيح: «فينادي بصوتٍ»، ومعلوم أنَّ النداء لا يكون إلا بصوتٍ، وصوتُ الله يسمعه مَنْ قَرُبَ، كما يسمعه مَنْ بَعُدَ.

فالنداءُ ثابتٌ لله تعالى، وهو دليل على ثبوت الكلام له سبحانه، وأنه بصوتٍ مسموعٍ، خلافاً للأشاعرة، والكُلّابية، والفلاسفة، الذين يقولون: إن كلام الله ليس بصوت، وإنما هو معنى قائم بنفسه. والحديث السابق يَرُدُّ عليهم، ويصحح أنَّ كلام الله بصوت.

وقد تقدَّم أنَّ الأشاعرة يقولون: إنَّ كلامه بدون حرف وصوت، وأن الكلام معنى قائم بنفسه؛ كالعلم؛ ولا فرق بين الكلام والعلم، وهذا باطل. ويقولون أيضاً: إنَّ الله لم يتكلم بصوتٍ مسموعٍ، ولا يُكلِّمُ أحداً، ولم يسمع منه جبريل حرفاً ولا صوتاً، ولكن الله اضطره؛ ففهم المعنى القائم بنفسه؛ فعبّر عنه بالعربية، وهذا هو القرآن في نظرهم! ويزعمون أنَّ القرآن عبَّرَ به جبريل. وبعضهم يقولون: عبر به محمد ﷺ.

وقالت طائفة: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، ولم يسمعه جبريل من الله! وهذه الأقوال كلها باطلة.

❁ وَقَوْلُهُ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**».

الشَّرْحُ

هذا الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه[1]؛ نَصٌّ في إثبات الكلام لله، وأنَّ الله يكلّم عباده بدون ترجمان، وبدون حجاب.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٦) مختصراً، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٣)، كلهم من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

والترجمان: هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة، ومن شخص إلى شخص. مثل المترجمين الآن الذين ينقلون الكلام من العربية إلى الإنكليزية، أو العكس.

ومعنى **(ليس بينه وبينه ترجمان)** أي: بدون واسطة؛ فيكلمهم ﷻ بدون واسطة، وبدون حجاب.

۞ وَقَوْلُهُ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُك أَمْرُك فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحْمَتُك فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَك فِي الأَرْضِ. اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا؛ أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِك وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِك عَلَى هَذَا الْوَجَعِ؛ فَيَبْرَأُ**» حَدِيثٌ حَسَنٌ. رَوَاهُ أَبُو داود وَغَيْرُهُ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث يسمَّىٰ حديث الرقية. والرقية: أن يُنفث على المريض، ويقرأ عليه. والحديث فيه: إثبات العلو لله ﷻ، ودل عليه قوله: **(ربنا الله الذي في السماء)**[1]، يعني: في العلو، فـ(في) للظرفية، وهذا هو الأصل فيها.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في الكبرى (١٠٨٧٦)، والطبراني في الأوسط (٨٦٣٦ ـ تحقيق: طارق عوض الله)، والحاكم (١/ ٤٩٤)، و(٢٤٧٤)، وابن عدي في الكامل (٣/ ١٩٧)، واللالكائي في السنة (٦٤٨)، من طريق الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القُرظي، عن فَضَالة بن عُبيد، عن أبي الدرداء، وهذا إسناد ليّنٌ؛ زيادة بن محمد قال عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٤٦): «منكر الحديث» وكذا قال النسائي في كتاب «الضعفاء» (٢٢١)، وقال الذهبي ـ بعد أن عزاهُ إلى أبي داود ـ في «العلو» ص(٢٩): «وزيادة ليّنُ الحديث».

ورواه أحمد في المسند (٦/ ٢٠) من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن الأشياخ، عن فضالة بن عُبيد، فجعله من مسند فضالة، وإسناده ضعيف؛ لإبهام الأشياخ الذين في سند هذا الحديث؟ =

ففي السماء أي: في العلو، والله تعالى في أعلى العلو؛ وهو فوق العرش، وإذا أُريد بالسماء الطباق المبنية فـ(في) تكون بمعنى (على) أي: على السماء، كما سبق بيانه.

وهذا الحديث فيه رد على من أنكر العلو من الجهمية والمعتزلة، الذين يقولون: إن الله في كل مكان، ومختلط بالمخلوقات، وهذا كفر ـ والعياذ بالله ـ.

فمن فوائد هذا الحديث: أنه إذا نُفِثَ على المريض ورُقي بهذه الألفاظ؛ فإنه يشفى بإذن الله تعالى.

❁ وَقَوْلُهُ: «**أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

الشَّرْحُ

وحديثُ: (**ألا تأمنوني، وأنا من في السماء**)[1]، وقع في بعض الروايات، أنه قال: (ألا تأمنوني وأنا يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءاً).

والشاهد قوله: (من في السماء)، فيه: إثبات العلو لله، وأنه في السماء؛ على العرش، والجهمية يُنكرون أن الله في السماء، وأنه فوق العرش، وينكرون الاستواء، ويقولون: إثباتُ هذا فيه تَنّقص لله، وكفرٌ، وضلالٌ، وتجسيمٌ، وَجَعْله محدوداً، أو متحيزاً؛ تنبيه: هذا الكلام متصل بما بعده.

= وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٥)، و(١٠٣٦)؛ أخرجه في الموضع الأول من طريق سفيان الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن طلق بن حبيب، عن أبيه، أنه كان به الأُسْر، فانطلق إلى المدينة والشام يطلب من يداويه، فلقي رجلاً، وأخرجه في الموضع الثاني من طريق شعبة، عن يونس بن خباب، عن طلق بن حبيب، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ، كان به الأُسر. ويونس بن خباب متكلم فيه، وحبيب والدُ طلقٍ؛ مجهول الحال. فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤)، وأحمد في المسند (٣/ ٤ ـ ٥)، وابن حبان في صحيحه (٢٥)، كلهم من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

لأن الله عندهم لا تحوزه الأشياء، وليس محصوراً في مكان، بل هو في كل مكان، فمن قال: إن الله في السماء؛ فقد زعم أن الله محدود؛ لأن العرش محدود؛ فالذي يكون على العرش، لا بد أن يكون محدوداً، وهذا لا يكون إلا لجسم محدود؛ فَعُلِمَ أنَّ هذا من صفات الأجسام؛ والأجسام متشابهة، فإذا كان الله ليس له شبيه؛ عَلِمْنا بذلك أن معنى هو: استوائه على العرش، هو: استيلاؤه عليه، أو معنى آخر غير ما يدلُّ عليه ظاهر اللفظ؛ لأن الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة: كَفْرٌ؛ فلا بد المصير إلى نفي ظواهرها؛ بالتأويل، أو التفويض! وهذا من الزيغ ـ نسأل الله العافية ـ.

❁ وَقَوْلُهُ: «**وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو داود وَغَيْرُهُ.

الشَّرْح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ موضع الشاهد من الحديث، والحديث طويل، رواه ابن مسعود، ولَفْظُهُ: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وَبَصرُ كل سماءٍ خمسمائة عام ـ يعني غِلَظِهَا ـ وما بين السمائين خمسمائة عامٍ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وما يخفىٰ عليه من أمركم شيء»[1].

إثبات العلو لله عَزَّ وَجَلَّ وأن الله فوق العرش.

❁ وَقَوْلُهُ ﷺ لِلْجَارِيَةِ: «**أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) حديث حسن: أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٨٨٥)، والدارمي رقم (٨١)، في الرد على الجهمية، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٨ رقم/ ٨٩٨٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٦٠)، وغيرهم كلهم من حديث ابن مسعود.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

هذا السؤال من النبي ﷺ للجارية الأعجمية، لما صكها سيّدها الصحابي: معاوية بن الحكم رضي الله عنه، لما كانت ترعى الغنم له، كما في صحيح مسلم، فجاء الذئب وأخذ واحدة منها، فحزن، فجاءها وصكها، ثم أسف، وأخبر النبي ﷺ، فعظَّم عليه ذلك، فقال له: أن يُعتِقها ـ والعتق لا بد فيه من رقبة مؤمنة ـ فأتى معاوية بن الحكم بالجارية الأعجمية، فسألها الرسول ﷺ: **(أين الله؟)** قالت: في السماء، قال: **(من أنا؟)** قالت: أنت رسول الله. فقال النبي ﷺ لمعاوية بن الحكم: **(أعتقها فإنها مؤمنة)**[1] فشَهِدَ لها بالإيمان.

فالشاهد: أن الحديث فيه إثبات العلو لله تعالى، وجواز السؤال عنه بأيْنٍ؛ لأنَّ (أَيْنَ). إنما يُسأل بها عن المكان؛ فدل على أن الله في جهة العلو، وأهل البدع يقولون: إن سؤال النبي ﷺ، للجارية بقوله: (أين الله) سؤال فاسد! وهذا يتضمن الاتهام للرسول ﷺ.

وإذا قيل لهم: لماذا سألها سؤالاً فاسداً؟ فأجابوا: لأنها أعجمية، ولا تفهم، فخاطبها على قدر عقلها، وإنما أراد النبي ﷺ: مَنْ الله؟ فالله لا يُسأل عنه بـ(أين)؛ لأن السؤال عن الله بـ(أين) تحديد للمكان، والله ليس له مكان، وإنما الرسول قصْده أن يقول لها: مَنْ الله؟ لكن قال لها: أين الله؟؛ مخاطبةً لها على قدر عقلها وفهمها، فقالت: في السماء، فأقرّها أيضاً على جواب فاسد؛ لأن هذا هو فهمها.

وهذا يتضمن ـ كما سبق ـ اتهام الرسول ﷺ، أنه سألها سؤالاً فاسداً، وأقرها على جواب فاسد!! هكذا وصل بهم الحال ـ والعياذ بالله ـ. مع أن الرسول أفصح الناس؛ فهل عجز أن يقول لها: مَنْ الله؟!

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٥٣٧)، وأبو داود (٩٢٠، ٣٢٨٢)، وأحمد في المسند (٥/٤٤٧، ٤٤٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٤)، والطبراني في الكبير (١٩/٩٣٨)، وابن حبان في صحيحه (١٦٥)، كلهم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

والخلاصة: أن حديث الجارية، من أدلة أهل السنة على إثبات العلو الإلهي، وجواز السؤال عنه بـ(أين).

۞ وَقَوْلُهُ: «**أَفْضَلُ الإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَك حَيْثُمَا كُنْت**» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الشَّرْحُ

قوله في الحديث: (أن الله معك حيثما كنت)[1] فيه: إثبات المعية لله، وأنه مع العباد حيثما كانوا، يعني: بعلمه، واطلاعه، وإحاطته. والمعية نوعان كما سبق شرحهما في النصوص السابقة؛ عامةً وخاصة.

فالعامة: لجميع الخلق؛ مؤمنهم وكافرهم. والمعية الخاصة: للمؤمنين، والمتقين، والصابرين.

۞ وَقَوْلُهُ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث رواه الشيخان: البخاري ومسلم[2]، وفيه نَهْيُ المصلي عن البصق قِبَلَ وجهه، أو عن يمينه، وجاء في اللفظ الآخر: «ولا عن يمينه فإن عن يمينه مَلَكاً»[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٨٩٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٤)، وذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني في الأوسط، والكبير، وقال: تفرد به عثمان بن كثير من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧)، والنسائي (٧٢٣)، وغيرهم كلهم من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أخرجه البخاري (٤٠٨، ٤١٠، ٤١١)، وغيرهم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤١٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٦٦، ٣١٨)، =

ولكن **قوله: («عن يساره أو تحت قدمه»)** هذا يكون في غير المسجد، كمن يصلي في صحراء فأراد أن يبصق فيبصق عن يساره؛ تحت قدمه، أما إذا كان في المسجد، أو في مكان مفروش؛ فيبصق في ثوبه، أو في منديل، وجاء في الحديث في لفظ آخر: (أو يقول هكذا، وبصق في رداءه، ورد بعضه على بعض).

والشاهد من الحديث: هو أن الله قِبَلَ وجهه، فهو قِبل وجه المصلي؛ فوق العرش، ولا إشكال ولا منافاة؛ فمن كان فوقك، فهو أمامك ﷻ، فإذا كانت الشمسُ يستقبلها الإنسانُ، أول النهار، وآخره، وتكون أَمَامَهُ، وهي مع ذلك في السماء، نقول: إذا جاز هذا وأمكن في المخلوق، فجوازه في الخالق من باب أولى، فلا إشكال إذن، والحمد لله.

۞ وَقَوْلُهُ: **«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ؛ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشَّرْحُ

هذا الحديث[1] فيه إثبات الأسماء الأربعة: الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهي أسماء متقابلة، اسمان لأزليته وأبديته، وهما: الأول والآخر،

= وعبد الرزاق في المصنف (١٦٨٦)، وابن حبان في صحيحه (١٧٨٣، ٢٢٦٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩٣)، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٣)، وأبو داود (٥٠٥١)، وابن ماجه (٣٨٣١)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨١، ٥٣٦)، كلهم عن أبي هريرة ﷺ.

واسمان: لفوقيته وعلوه، وعدم احتجاب شيء من المخلوقات عنه، وهما: الظاهر والباطن.

وهذه الأسماء الأربعة دلت عليها الآية الكريمة، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

وهذا الحديث فسر فيه النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة:

ومعنى قوله: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء): فسَّره في الحديث نفسه بأنه الذي ليس قبله شيء، فإذاً لا نهاية لأزليته.

ومعنى قوله: (وأنت الآخر فليس بعدك شيء): أي: هو الآخر، الذي ليس لآخريته نهاية.

وقوله: (وأنت الظاهر فليس فوقك شيء): فسر الظاهر في الحديث نفسه؛ بنفي فوقية شيء عليه. والظهور معناه: العلو، والشيء كلما ارتفع: ظَهَرَ وَبَانَ، كما أنه كلما سَفل: خفي، واستتر.

فالله ﷻ له العلو، ليس فوقه شيء من مخلوقاته.

(وأنت الباطن فليس بعدك شيء): أي: لا يحجبه شيء من مخلوقاته ﷻ.

۞ وَقَوْلُهُ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِباً إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

(أربعوا)[1]، أي: أرفقوا على أنفسكم. وهذا الحديث خرَّجاه في الصحيحيْن، عن أبي موسى ﷺ، وذلك أن الصحابة كانوا في سفر،

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٢، ٦٣٨٤)، ومسلم (٢٧٠٤)، وأبو داود (١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨)، والترمذي (٣٤٦١)، وابن ماجه (٣٨٢٤)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٩٤) كلهم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

فارتفعوا على بعض النشز فكبَّروا، ولما نزلوا وادياً سبَّحُوا، ورفعوا أصواتهم بالذكر، حتى شقوا على أنفسهم، فأمرهم النبي ﷺ بالرفق بأنفسهم، فقال: (أربعوا) أي: أرفقوا على أنفسكم. فنهاهم عن رفع الصوت؛ إبقاءً عليهم ورفقاً بهم؛ لأنهم كانوا في مشقة السفر، وقال: فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته.

في هذا الحديث: نفي النقائص عن الله؛ وأنَّ الله ليس بأصم، ولا بغائب، بل هو حاضر ﷻ.

ولهذا لا يُقال: فلان خليفة الله في الأرض؛ لأن الخليفة إنما يكون لمن غاب، فيخلفه غيرُه؛ لأن الله حاضر وشاهدٌ، ليس بغائب حتى يكون له خليفة. وأما قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فالمراد: أن آدم يخلف من سبقه، وليس المراد بأنه خليفة لله.

وقوله: (إن الذين تدعونه سميع قريب) فيه: إثبات أنَّ الله سميع قريب.

وقوله: (أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته): هذا قربٌ من الداعين بالإجابة، وقربٌ من السائلين بالإجابة؛ كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا قرب خاص، فهو ليس قريباً من كل أحد، وإنما قريب من الداعيين، يعني: الذي تدعونه أقرب إلى الداعيين، ومع هذا: فهو سبحانه فوق العرش. فهو عليٌّ في دُنُوِّه ﷻ، وقريبٌ من الداعيين، وله مع ذلك العلو المطلق فوق العرش. فتقرُّبُ الله ـ تعالى ـ من عباده المؤمنين، نوعان: تقرّبٌ من الداعين بالإجابة؛ دليله: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. والثاني: تقربٌ من العابدين بالإثابة، دليله: قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

۞ وَقَوْلُهُ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا تضامون فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا: فَافْعَلُوا**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّرْحُ

هذا فيه إثبات الرؤية لله ﷻ، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة؛ رؤيةً واضحة، لا يحصل لهم فيها ضَيُمٌ ولا ازدحام، ولا تعب. وقوله: (**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**)[1]؛ أي: فكما أن الإنسان يرى القمر وهو ـ أي: الإنسان ـ في مكانه، والقمر في السماء؛ في العلو، فتحصل الرؤية للقمر، كلٌّ يراه من دون ازدحام، ولا يحجب بعضكم بعضاً؛ فكذلك المؤمنون يرون الله من غير تعب، كما يرون القمر. فهذا تشبيهُ الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي.

والرؤية تكون للمؤمنين فقط.

وقوله: (فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا)، المراد بالصلاة التي قبل طلوع الشمس هي: صلاة الفجر، والمراد بالتي قبل غروب الشمس، هي صلاة العصر، وهذا دليل على أن المحافظة على هاتين الصلاتين؛ من أسباب رؤية الله في الآخرة، وفي هاتين الصلاتين تجتمع الملائكة؛ ملائكة الليل، وملائكة النهار، وبقية الصلوات كذلك، لكنْ هاتان الصلاتان؛ لهما مزية على غيرهما.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣)، وأبو داود (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (١/ ١٧٦، ٦/ ٤٦٩)، وابن ماجه (١٧٧)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٠، ٣٦٥، ٣٦٦) وغيرهم، عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

۞ إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ.

فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ ـ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ـ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمْ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي (بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجهمية؛ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ الْمُشَبِّهَةِ)، وَهُمْ وَسَطٌ فِي (بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَى بَيْنَ الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ).

وَفِي بَابِ (وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والوعيدية: مِنْ الْقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

وَفِي بَابِ (أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحرورية وَالْمُعْتَزِلَةِ وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والجهمية).

وَفِي (أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّوَافِضِ وَالْخَوَارِجِ).

الشَّرْحُ

سبق أنّ بيَّن المؤلفُ رَحِمَهُ اللهُ؛ أن مذهب أهل السنة والجماعة: الإيمان بما ورد في النصوص من الصفات؛ من غير تحريف، فلا يحرفون ألفاظ النصوص، ولا معانيها، ولا يكيفونها، ويقولون: الصفات على كيفية كذا وكذا. وكذلك: يؤمنون بها من غير تمثيل، ولا يقولون: إن صفات الله

تماثل صفات المخلوقين، وكذلك: لا يعطلون أسماء الله ولا صفاته، ولا ينفونهما.

فأهل السنة والجماعة هم الوسط في فِرَقِ الأمة كلها، كما سيذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهم **(وسط في فرق الأمة)**: لأن في فرق الأمة فرقاً مبتدعة متطرفين، فأهل السنة وسط بين الخوارج والمعتزلة ـ كما سيبينه المؤلف ـ الذين يُكفِّرون بالمعاصي، وبين المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنبٌ، فالأعمال عندهم، ليست من الإيمان، والإيمان هو مجرد الاعتراف بالقلب، فمهما عمل الإنسان من الذنوب، فإنها لا تضره، ولا يخرج من الإسلام إلا إذا جهل ربه بقلبه، أما الخوارج والمعتزلة فيُكفِّرون بالكبائر، ما لم يتب فاعلها، وأهل السنة توسطوا، وقالوا: إنها تضر ولا تخرجه من الملة، وتُضعف الإيمان وتنقصه، فهم وسط بين الفريقين، وكذلك هم وسط في أبواب أخرى من أبواب الدين كما سيأتي.

فأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة، كما أن الأمة المحمدية وسط بين الأمم السابقة؛ وسط بين اليهود والنصارى، فاليهود يغلون، والنصارى عندهم جفاء، فالنصارى يتعبدون ولا يحترزون من النجاسات ولا يبالون، واليهود يُشدِّدون، حتى إن الثوب إذا أصابته نجاسة شددوا من أمرها، ولا يطهرونها، بل تُطرق بالمطارق، والنصارى لا يُبالون، وهذه الأمة جعلها الله وسطاً، لا تطرق النجاسة بالمطارق، ولا تتركها، بل تغسلها بالماء.

وهم أيضاً: **(وسط في باب الصفات)**، بين أهل التمثيل؛ وهم المشبهة من الغلاة، الذين قالوا: إن صفات الله كصفات المخلوق، حتى يقول أحدهم: يد الله كيدي، واستواؤه كاستوائي، ووجه كوجهي؛ فهؤلاء كفرة، وأغلبهم من غلاة الشيعة؛ البيانية، والسالمية.

وأما المعطلة فقد نفوا الأسماء والصفات، وقالوا: ليس لله أسماء ولا صفات، وهذا قول الغلاة منهم، وطائفة نفوا صفاته وأثبتوا أسماءه، ومنهم من

أثبت أسماءه وأثبت بعض الصفات ونازع في غيرها، وكل هؤلاء يشملهم اسم التعطيل، وأهل السنة وسط، لا يقولون بقول المشبهة، ولا بقول المعطلة، بل أثبتوا الصفات لله، ونفوا المماثلة والمشابهة، فهم وسط في باب الصفات.

وكذلك: هم وسط في باب الأفعال، بين الجبرية والقدرية؛ فالجبرية يقولون: العبد مجبور على أفعاله؛ وليس له اختيار، وأفعاله كلها اضطرارية، فيقولون: إن أفعاله هي أفعال الله؛ فالله هو المصلي، وهو الصائم، وأعمال الإنسان وحركاته كالوعاءِ والكوب الذي يُصب فيه الماء؛ فالخَلْق كالكؤوس، والله صباب الماء فيه، ليس لهم قدرة ولا اختيار.

والقدرية يقولون: أفعالُ العباد؛ هم الذين خلقوها بأنفسهم، والله لم يخلق المعاصي، ولا أرادها ولا شاءها؛ لا المعاصي ولا الطاعات. فهؤلاء في طرفٍ، وهؤلاء في طرفٍ، وأهل السنة وسطٌ بينهما؛ لا يقولون بقول القدرية، ولا بقول الجبرية، بل قالوا: إن أفعال الله مخلوقة لله؛ فالله تعالى خلق العباد، وخلق قدرتهم وأفعالهم، وجعلهم مختارين لها، فأفعال العباد من الله؛ خلقاً وإيجاداً، وتقديراً، ومن العباد؛ فعلاً وتسبباً، وكسباً، ومباشرةً.

وكذلك أهل السنة وسط في باب وعيد الله؛ بين المرجئة والوعيدية ـ كما سبق القول في ذلك ـ فالمرجئة يقولون: بأن المعاصي والكبائر لا تضر، والوعيدية من القدرية، والمعتزلة، والخوارج، يقولون: إن المعاصي تضر الإنسان؛ وأنه يكفر إذا فعل الكبائر، ويخرج من الإيمان، ويخلد في النار، والوعيدية والقدرية من المعتزلة يقولون: خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، لكنه في منزلة بين المنزلتيْن، ومُخلدٌ مع هذا في النار!!، خلافاً لأهل السنة والجماعة الذين لا يقولون بقول هؤلاء ولا هؤلاء. بل يقولون: إن المعاصي تضر الإيمان، وتنقصه، وتضعفه، ولكنه لا يخرج بها من الإيمان.

فالوعيدية يقولون: يكفر بالمعاصي، والمرجئة يقولون: لا تضره المعاصي، وأهل السنة لا يقولون بأنه يكفر، بل يقولون: مؤمن ناقص الإيمان؛ ضعيف الإيمان.

والحرورية: هم الخوارج، سكنوا بلدة حَرورا في العراق، وتجمّعوا فيها، ونُسبوا إليها.

فهؤلاء الحرورية كفرَّوا بالمعاصي، وأولئك المرجئة قالوا: إن المعاصي والكبائر لا تضر الإيمان، وأهل السنة وسط بين هؤلاء وهؤلاء؛ لم يكفّروا، ولم يقولوا: إنها لا تضر.

وكذلك أهل السنة وسط في أصحاب رسول ﷺ؛ وسط بين الروافض والخوارج.

فالخوارج يكفرون الصحابة، ويسبونهم، ويفسقونهم.

والروافض: يكفرون أصحاب رسول ﷺ، ويعبدون آل البيت.

والنواصب: ينصبون العداوة لأهل البيت، عكس الروافض.

والروافض يغلون في أهل البيت حتى عبدوهم، كعلي، والحسن، والحسين، وسائر أئمتهم.

فأهل السنة وسط بين هذه الفِرق؛ يترضون عن الصحابة، ويعتقدون أنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، ويُنزلونهم منازلهم، فهم لا يسبونهم ولا يؤذونهم، ولا يكفرونهم كما تفعل الخوارج، ولا يعبدون آل البيت كما تفعل الرافضة، بل يتولون أهل البيت، ويتولون الصحابة جميعاً، وينزلونهم منازلهم التي دلت عليها النصوص، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

۞ (فَصْلٌ): وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ: مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ.

كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ وَهُوَ خِلافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ وَخِلافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلْ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ؛ وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ وَغَيْرِ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ مُطَّلِعٌ إلَيْهِمْ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا ـ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ لا يَحْتَاجُ إلَى تَحْرِيفٍ وَلَكِنْ يُصَانُ عَنْ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُقِلُّهُ أَوْ تُظِلُّهُ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَهُوَ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلَّا بِإِذْنِهِ. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾.

الشَّرْحُ

ما تقدَّم من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هو في إثبات العلو لله تَعَالَى، وتقرير أنه تعالى عليٌّ على عرشه، وهو معهم كما سبق تفصيله، وأنه لا منافاة بين عُلُوه ومعيّته.

فالمعية ثابتةٌ لله تعالى، وكل هذا يؤمن به أهل السنة والجماعة، فكل ما

دلت عليه النصوص من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ يؤمن بها أهل السنة والجماعة.

فالله ﷻ عليٌّ في دنوه، كما أنه ﷻ فوق عرشه؛ فهو قريب من الداعيين. ودلّ قوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩]؛ أنه: قريب من الساجدين، وهو مع ذلك: عليٌ على عرشه؛ وهو مع الخلق كلهم، بعلمه، واطلاعه، وإحاطته، ومع أنبيائه، ورسله، والمؤمنين، والصابرين، والمتقين: بنصره، وحفظه، وتأييده، ودلَّ على ذلك قوله عن: أنبياءه ورسله وغيرهما، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وفي آية سورة الحديد، جمع الله فيها بين العلو والمعية، فهو ﷻ فوق السماء، وهو مع عباده بعلمه، واطلاعه، وإحاطته، خلافاً للجهمية الذين يضربون النصوص بعضها ببعضٍ، ويقولون: إن نصوص المعية تُبطل نصوصَ الفوقية والعلو، وأنكروا أن الله فوق العرش، وقالوا: إنه مختلط بالناس والمخلوقات، فأخذوا بنصوص المعية، وضربوا بها نصوص الفوقية.

وأما أهل السنة فهداهم الله إلى الجمع بين النصوص والعمل بها، فقالوا: هو ﷻ بذاته فوق مخلوقاته، ومع عباده باطلاعه وإحاطته، ونفوذ قدرته ومشيئته، ومع المؤمنين بنصره وتأييده.

والمعية لا تناقض الفوقية، فهذا القمر وهو من آيات الله ومخلوقاته، وهو مع المسافر إذا سافر، وفوقه، ولا يُعَدُّ هذا تناقضاً، ولا يلزم منه الاختلاط؛ فالمعية ليس معناها الاختلاط، بل تعني: مطلق المصاحبة، والعرب يقولون: (ما زلنا نسير والقمر معنا)؛ وهو فوقك، وتقول: (فلان متاعه معه)، وهو فوق رأسه.

والنصوص قد دلَّتْ على أن الله في السماء، وليس معنى ذلك أن السماء تظله أو تُقله، أو أن السماء تحمله، أو تظلله، لا، فهذا المعنى فاسد؛ فهو سبحانه فوق العرش، وهو حامل للعرش، ويحمل العرش بقوته وقدرته، وكل شيء بيده، ويصرف أمور عباده؛ وهو فوق السماء ﷻ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فمن زعم أن الله تُظِلّه السماءُ أو تُقله؛ فقد ضلَّ سواء السبيل، وظن بربه ظناً سيئاً.

۞ (فَصْلٌ): وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ: الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ مُجِيبٌ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ الْآيَةَ.

وَقَوْلُهُ ﷺ لِلصَّحَابَةِ لَمَّا رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**».

وَمَا ذَكَرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ـ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِه ـ لا يُنَافِي مَا ذَكَرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

الشَّرْحُ

يعني قد دخل في زمرة الإيمان بما جاء في الكتاب والسنة، الإيمان بأن الله تعالى قريب من خلقه؛ قريب من عباده، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ...﴾ [البقرة: ١٨٦].

فهو قريب ﷻ مع علوه، عليٌّ في دنوه، وهو قريب من الداعين، أي: قربه من الداعين بالإجابة، وقربه من العابدين بالإثابة، فقربُه من الداعين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ...﴾؛ فهو قريب من الداعين بالإجابة.

وكما قال ﷻ في المستغفرين: ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]. فهو ﷻ قريبٌ من المستغفرين التائبين، مجيبٌ لهم، وقريب من العابدين بالإثابة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾.

والساجد هو: العابد، القريب من الله. وأما قُربه ﷻ من جميع خلقه، فذهب شيخ الإسلام رحمه الله، إلى أنه ليس قريباً من كل أحد، يعني: أنَّ القرب لا يكون إلا خاصاً؛ ليس عاماً كالمعية: لأنَّ المعية تكون عامة وخاصة.

أما القرب فإنه خاص؛ وهو من الداعين بالإجابة، ومن العابدين بالإثابة. هكذا قال شيخ الإسلام.

وذهب آخرون من أهل العلم: إلى أن القرب يكون عاماً وخاصاً؛ كالمعية، التي تكون خاصة وعامة.

ومثلوا للقرب العام بقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦]. فقالوا: إن هذا قربٌ من جميع خلقه، لكن قربه بالعلم، والإحاطة.

وشيخ الإسلام رحمه الله وجماعة يقولون: المراد بالقرب هنا: قرب الملائكة؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ. . .﴾ [ق: ١٦ ـ ١٧]؛ لأنه قيّده ـ أي: القُرب ـ بوقتِ تلقّي المتلقيين، وهما: الملكان.

فمعنى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ أي: وقت أنْ يتلقىٰ المتلقيان. فلو كان المراد: قرب الله؛ لم يُقَيِّدْ ذلك بوقت تَلَقِّي المتلقيين.

فهذا القُرب المذكور في الحديث؛ قربُ من الداعيين، ولم يقل: بأنه قريب من كل أحد، بل قال: فإن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم؛ أي: أيها الداعون.

فالنصوص كلها حق؛ فنصوص المعية والقُرب، لا تُنافي ولا تُناقض نصوصَ الفوقية والعلو، كما أن نصوص الفوقية والعلو، لا تنقض نصوص المعية والقُرب؛ لأنه ليس معنى المعية؛ الاختلاط بالمخلوقات، بل معنى المعية في لغة العرب: مطلق المصاحَبة، ولا تقتضي المعية في لغة العرب اختلاطاً وامتزاجاً، ولا ملاصقةً، ولا محاذاة، بل هي لمطلق المصاحبة، والمقارنة في أمر من الأمور، وهي في لغة العرب أيضاً تختلف باختلاف المتعلقات، والمصحوبات.

فتارةً يراد بها أن تكون ذات الشخص معه، وتارة يراد بها أن يكون مال الإنسان معه، وتارة يراد بها قوة الإنسان معه.

يقول المَلِك: اذهبوا أنا معكم، أي: معهم بجيشه وقوته.

وتارة يراد بها الاطلاع والعناية؛ كالصبي الذي يبكي من فوق السطح؛ والأب تحته يقول له: لا تبكِ! أنا معك؛ وبينهما مسافة؛ فقد يكون هو في الطابق الثالث، والأب في الطابق الأرضي. فهذا نوع من المعيّة معلومٌ.

ومن هذا: قولُ العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا؛ والقمر فوق السماء، وتقول: ما زلنا نسير والنجم معنا، وتقول: هذا المتاع معك؛ لمصاحبته لك، وإن كان فوق رأسك. وعلى هذا: فليس هناك منافاة بين العلو والفوقية، وبين المعية والقُرب، فالرب ﷻ فوق العرش، وهو عالٍ على جميع مخلوقاته، وهو مع ذلك معهم بعلمه، وإحاطته، واطلاعه، وهو مع المؤمنين بنصره، وعونه، وتأييده، وهو قريب من الداعيين، وقريب من العابدين؛ ولا منافاة بين ذلك كُلِّه.

خلافاً لأهل البدع، الذين يضربون النصوص بعضها بالبعض. فأهل البدع من الجهمية والمعتزلة، أبطلوا نصوص العلو والفوقية، بنصوص المعية، وقالوا: إن الله مختلط بالمخلوقات ـ نعوذ بالله من قولهم ـ وهو معهم في كل مكان، وأبطلوا نصوص الفوقية والعلو، التي تزيد على ألف دليل؛ كلها أبطلوها، مع أنها نصوص صريحة واضحة.

فالله تعالى ليس كمثله شيء في نعوته، أي: في صفاته، ولا يشابه أحداً من خلقه، ولا يماثل أحداً في صفاته، بل الخالق له نعوت وصفات تليق به، والمخلوق له نعوت وصفات تليق به.

وقوله: (عليٌّ في دنوه)، يعني: عَلِيّاً على خلقه في دنوه، أي: في قُربه، وهو مع كونه عليّاً على خلقه وفوقهم؛ فهو قريب من العابدين، ومن الداعيين، وهو مع ذلك فوق العرش ﷻ. ولا منافاة بين هذيْن الوصفين، خلافاً لأهل البدع، الذين يضربون النصوص بعضها بالبعض، كما سبق.

(فَصْلٌ): وَمِنْ الإِيمَانِ بِاَللهِ وَكُتُبِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلامُ اللهِ

مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ؛ وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً لا كَلامُ غَيْرِهِ؛ وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ بِذَلِكَ فِي الْمَصَاحِفِ: لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئاً لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغاً مُؤَدِّياً. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي وَلا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ.

الشَّرْحُ

(ومن الإيمان بالله وبكتبه، الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)، يعني: أَنَّ هذا القرآن الذي بين أيدينا؛ تكلم الله به، وسمعه منه جبرائيل، ونزل به على نبينا محمد ﷺ، بحرفٍ وصوت. هذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا لا بد منه؛ لأنَّ من لم يؤمن بالقرآن: لم يؤمن بالله حقيقةً؛ ومن لم يؤمن بأن القرآن كلام الله، لم يؤمن بكتب الله المنزلة، فمن الإيمان بالله وبكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، تكلم الله به بحرف وصوت، وسمعه منه جبرائيل، وأنزله ﷻ على قلب نبينا محمد ﷺ، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: إن القرآن مخلوق، وخلافاً للأشاعرة الذين قالوا: إن القرآن معنى قائم بنفسه، ليس بحرف ولا صوت، ولا يُسمع، وإنما هو معنى في نفسه، كما أن العلم معنى في نفسه؛ فكذلك الكلام معنى في نفسه، وهذا باطل.

وقوله: (منه بدأ): يعني: أن الله هو الذي تكلم به، وابتداء تنزيله منه تعالى. ومعنى قوله: (وإليه يعود): أي أنه يُرفَعُ في آخر الزمان.

فإذا ترك الناس العمل بالقرآن: رُفِعَ ـ والعياذ بالله ـ في آخر الزمان، بعد

ظهور علامات الساعة الكبار، التي أولها: المهدي ـ وهو رجل من آل بيت النبي ﷺ يحكم بالعدل؛ يبايعه الناس؛ ليس في وقتهم إمام ـ.

ثم العلامة الثانية: خروج الدجال؛ يخرج في زمان المهدي، بعد فتح القسطنطينية والدجالُ رجل من بني آدم، «أعور العين اليمنى»[(١)]، «ومكتوب بين عينيه كافر»[(٢)]، يدَّعي النبوة، ثم الربوبية ـ والعياذ بالله ـ. ثم ينزل عيسى ابن مريم من السماء ـ مسيح الهدى ـ: وهي العلامة الثالثة، ويقتل الدجال؛ وهو مسيح الضلال. فيقتل مسيحُ الهدى مسيحَ الضلال.

ثم العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج؛ يخرجون في زمن عيسى، وهم من بني آدم، أمتان، كافرتان، الأولى تسمى: يأجوج، والثانية: مأجوج؛ من الأجيج والضجيج، والأصوات المختلطة؛ لكثرتهم، وقد ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «**ينادي الله تعالى يا آدم: فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النار. فقال: وما بعث النار. قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون**»[(٣)]. ثم قال: «**أبشروا فإن منكم رجل ومن يأجوج ومأجوج ألف...**» الحديث[(٤)].

فشق ذلك على الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقالوا: أيما يقصد بذلك الواحد يا رسول الله، فقال: أبشروا. قال: «فإن منكم واحد، ومن يأجوج ومأجوج ألفان»، يعني: يأجوج ومأجوج ألف في النار؛ لأنهم أمم كثيرة، وهم ـ كما تقدَّم ـ يخرجون في آخر الزمان، في زمن عيسى عليه السلام، ويُفسدون

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، واللفظ له، ومسلم (١٦٩)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧١٣١، ٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البخاري (١٥٥٥، ٥٩١٣)، ومسلم (١٦٦).

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٨) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢) الإيمان، وأحمد في المسند (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وأبو عوانة في مسنده (٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٤) حديث صحيح تقدم فيما قبله.

في الأرض، فيدعوا اللهَ عليهم عيسى، ثم يهلكهم الله فئة واحدة، ثم تتابع أشراط الساعة الكبار، كما ذكرنا سابقاً.

والمقصود من قول المؤلف: (منه بدأ) أي: تكلم وبدأ به، وإليه يعود: أي: يُرفع في آخر الزمان إلى الله، يُرْفَع من الصدور ومن المصاحف؛ وذلك إذا ترك الناس العمل به، كما سبق ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ.

فهذا معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن: أن الله تكلم به حقيقة؛ بحرفٍ وصوتٍ، وسمعه منه جبرائيل، وكذلك يكلم الله الملائكة، وكلم الله موسى، ويكلم آدم يوم القيامة، ويكلم الناس، كما في الحديث السابق: «**ما منكم من أحد إلا وسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»[1].

فلا بد أن نعتقد: أن كلام الله الذي نقرأه في المصاحف؛ هو كلامه حقيقة، وليس كلام غيره، وفَضْلُ كلام الله على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] يعني: أنَّ الذي يقرأه القارئ؛ هو كلام الله.

والذي يُكتب في المصاحف؛ هو أيضاً: كلام الله. ولا يجوز أن يُقال: إن القرآن عبارة عن كلام الله، أو حكاية عنه، كما يقوله أهل البدع.

فإن الكُلّابية يقولون: القرآن كلام الله، لكنه معنى قائم بنفسه، وهو أربعة معانٍ في نفسه: أمر، ونهي، وخبر، واستفهام، وأما الحروف والأصوات فهي حكاية عن كلام الله، أي: يتأدى بها كلام الله.

والأشاعرة يقولون: مثلهم؛ يقولون: إن القرآن معنى قائم بنفس الله، لا يتنوع، والحروف والأصوات عبارة عن كلام الله. وهذه الأقوال كلها باطلة، فالكلابية والأشاعرة اتفقوا على أن المكتوب في المصاحف، ليس من كلام الله،

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٩، ٧٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٦٠٦) مختصراً، وابن حبان في صحيحه (٧٣٧٣)، كلهم من طريق عدي بن حاتم رضي الله عنه.

بينما كلام الله ـ عندهم ـ: القائم بنفسه، لكن الكلابية يقولون: الحروف التي نقرأها؛ حكاية عن كلام الله، وقال الأشاعرة: عبارة عن كلام الله.

فالحروف والأصوات؛ دليل على كلام الله، ويختلف باختلاف الدلالات؛ والمدلول واحد، والأشاعرة يقولون: الحروف والأصوات عبارة عن كلام الله، أي: العبارة تختلف، والمعنى واحد، فيقولون: القرآن، والتوراة، والزبور، والإنجيل؛ كله معنى قائم بنفسه، لكن الدلالات هي التي تختلف، لكن المدلول واحد، فإن عبّرت عن هذا المدلول بالعبرانية ـ لغة اليهود ـ: صارت توراةً، وإن عبّرت عنه بالسريانية ـ لغة النصارى ـ: صار إنجيلاً، وإن عبّرت عنه ـ بالداودية ـ: صار زبوراً، وإن عبّرت عنه بالعربية: صار قرآناً.

كما أن الشخص الواحد يختلف مُسماه بالنسبة والإضافة إلى غيره؛ بعدّة اعتبارات؛ فأنت أبٌ بالنسبة لأبنائك؛ فإذا أُضفتَ إلى أبنائك: كنت أباً، وإذا أُضفت إلى أبيك: صرت ابناً، وإذا أُضفتَ إلى ابن أخيك؛ فأنت عم، وإذا أُضفتَ إلى أولاد أخواتك: كنت خالاً، مع أنك في كل هذه الأمثلة واحد؛ فأنتَ أنتَ. فهكذا يُنَظِّرونَ ويقولون! فالمدلول ـ إذن عندهم ـ واحد، وهو: كلام الله، والله واحد؛ لا يتبعض ولا يتجزأ؛ وكذا كلامُه الذي هو معنى قائم بنفسه؛ فكونه توراةً، وزبوراً، وإنجيلاً، وقرآناً، فهذه صفات إضافية لذلك المعنى واحد.

وهذا المذهب؛ مذهب عامة كثير من الناس؛ من الفقهاء، ومن المحدثين، ومن أهل الكلام، ومع أنه مذهبٌ باطل، فأهلُه يسمون أنفسهم: أهل السنة.

وهذا الاعتقاد الباطل وغيره، موجود الآن في كثير من المؤلفات، في شتى فروع العلم. فينبغي لطالب العلم أن يكون على عناية ومعرفة بمعتقد أهل السنة والجماعة، حتى لا يضل أو يزل، فالحاصل: أنَّ هذه المسألة زلت فيها الأقدام، وضلت فيها الأفهام.

فالحق الذي عليه أهل السنة: أن القرآن إذا قرأه الناس؛ فهو كلام الله، وإذا كتبوه؛ فهو كلام الله، فإذا قرأه القارئ؛ فهو كلام الله مقروء، وإذا سمعه السامع؛ فهو كلام الله مسموع، وإذا حفظه الحافظ؛ فهو كلام الله محفوظ.

فكلام الله مقروء بالألسن، ومحفوظ في القلوب، ومكتوب في المصاحف، فهو كلام الله حقاً كيفما قُرِأَ.

ولا يقال: هو كلام الله مجازاً؛ لأنه لو كان مجازاً لصح نفيه، ولجاز أن يُقال: ما قرأ القارئ كلامَ الله، أو ما كتب الكاتب كلام الله، أو ما سمع السامع كلام الله؛ وهذا باطل.

فالكلام إنما يُضاف إلى من قاله مُبْتَدِأً، لا إلى من قاله مُبَلِّغاً. فالنبي ﷺ قال: «**إنما الأعمال بالنيات**»[1]؛ فيقالُ: هذا كلامه، وَأَنْتَ إذا قرأتَه وسمعه السامعُ، قال: هذا كلام النبي ﷺ، وَعَلِمَ أنك تؤديه وتبلّغه، وكذلك القارئ يقرأ كلامَ الله؛ فالمتكلم به هو الله، والقارئ يقرأ كلام الله؛ أي: يبلغه.

وقولُه: (وهو كلام الله حروفه ومعانيه)، يعني: يَدخُل في الإيمان بأن القرآن كلام الله: الإيمانُ بأنه حروف ومعاني وأصوات، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل كلام الله: حروف، ومعاني، وأصوات؛ جميعها.

وهنا مسألة: تتعلَّق بمُسَمَّىٰ الكلام، هل هو اللفظ، أو هو المعنى؟ الجواب: اختلفوا فيه: فقال الأشاعرة: بأنَّ مُسمّى الكلام حقيقة في المعنى، مجاز في اللفظ. وقالت المعتزلة. الكلام حقيقة في اللفظ، مجاز في المعنى، وقال أبو المعالي الجويني: الكلام حقيقة في كُلٍّ من اللفظ والمعنى، وهو مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

والصواب في مُسمَّى الكلام: أنه حقيقة في اللفظ والمعنى؛ فإطلاقه على أحدهما: إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه عليهما على سبيل الجمع؛ إطلاقٌ على كُلِّ معناه، فإذا قيل: الكلام هو اللفظ والمعنى؛ فهذا كما أن مسمى الإنسان يشمل: روحه وجسده.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (١، ٥٤)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي (٧٥، ٣٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٢٧)، وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فكلام الله: لفظٌ ومعنى، وليس الحروف دون المعاني.

۞ (فَصْلٌ): وَقَدْ دَخَلَ أَيْضاً فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَاناً بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْواً لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لا يضامون فِي رُؤْيَتِهِ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ.

الشَّرْحُ

دخل في الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه، ورسله: الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم عياناً بأبصارهم في الآخرة؛ فيرونه تعالى رؤيةً واضحة، لا يضامون فيها، كما يرون القمر، كما ثبت في الحديث الصحيح: «**قال ناس: يا رسول الله أنرى ربنا ﷻ يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟. قال: لا. قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: والذي نفسي بيده لا تضارون في رؤيته إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**»[(١)]. وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «**قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً....**» الحديث[(٢)].

وأما المعتزلة فأنكروا الرؤية، وقالوا: المؤمنون لا يرون ربهم

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ٢٩٦٨)، وأبو داود (٤٧٣٠) واللفظ له، والترمذي (٢٥٥٤)، وابن ماجه (١٧٨)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨٩، ٤٩٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٤٢، ٧٤٢٩، ٧٤٤٥)، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ، وفي الباب عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٨١، ٧٤١٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣)، والترمذي (٢٥٩٨)، والنسائي (٨/ ١١٢)، وغيرهم.

بأبصارهم؛ لأن الذي يُرى بالبصر؛ لا يكون إلا جسماً؛ والله ليس بجسم؛ لأنه لو رآه أحدٌ؛ لصار جسماً؛ والله ليس بجسم؛ فينتج من هذا: أنَّ الله لا يُرىٰ!!

ثم إنهم تأولوا الرؤية الواردة في الأحاديث، كقوله: «**إنكم ترون ربكم**» فقالوا: المراد به: العلم.

وقالوا: معنى حديث: (إنكم ترون ربكم كما ترون القمر).

أي: إنكم كما تعلمون أن القمر قمر؛ لا تشكون في أنه القمر فكذلك تعلمون أنَّ الله هو ربكم!!، وهذا من أبطل الباطل، لأن يُبطل المعنى:

أولاً: أن هذا فيه إبطال لصريح النص، وثانياً: إن هذا تغيير وتحريف للمعنى؛ فكيف يقول الرسول: إنكم تعلمون ربكم، كما تعلمون أن القمر قمر لا تشكون في رؤيته؟!

فهذا العلم بأنَّ الله ربنا؟ حاصل للمؤمن والكافر، حتى الملاحدة الذين يشكون وينكرون ربهم، يزول عنهم الشك يوم القيامة. فما قيمة تخصيص المؤمنين بالرؤية؟ لأنه إذا كان المراد نفي الشك، لكان هذا حاصلاً للكفرة؛ فإنهم يعلمون ربهم ولا يشكون في ربوبيته.

وهذا العلم بأن الله ربهم، عامٌ لجميع أهل الموقف؛ فلا يكون لتخصيص المؤمنين بذلك فائدة حينئذٍ! فمعنى أحاديث الرؤية واضح، ولا يصح تأويل الرؤية بتلك التأويلات الباطلة؛ لصراحة النصوص الواردة بذلك.

وأمّا الأشاعرة فقالوا: إنه يُرى لا في جهةٍ، لأنهم ينكرون فوقيته تعالى.

وأما رؤية الله تعالى قبل دخول الجنة؛ ففيها ثلاثة أقوال:

الأول: أن المؤمنين يرون ربهم في المحشر؛ في الموقف قبل دخول الجنة؛ لا يراه إلا المؤمنون خاصة.

أما الكفار، فاختلف العلماء فيهم، فذهب بعض أهل العلم: أنهم لا يرونه مطلقاً، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

الثاني: أنه يراه أهل الموقف جميعاً؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفرة، فلا يرونه بعد ذلك.

الثالث: أنه يراه المؤمنون والمنافقون؛ لما ثبت في الصحيحين، من أن الكفرة يساقون إلى النار، «**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، وأن الله يتجلى لهم فيرونه فيسجد له المؤمنون، ويسجد المنافقون فلا يستطيعون**»[1].

۞ (فَصْلٌ): وَمِنْ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ: الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ: فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَبِنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ: فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ. فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: «**مَنْ رَبُّك وَمَا دِينُك وَمَنْ نَبِيُّك؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي وَالإِسْلَامُ دِينِي وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي، وَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَيَقُولُ: هاه هاه لا أَدْرِي سَمِعْت النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْته فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الإِنْسَانُ وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ لَصَعِقَ**».

الشَّرْحُ

وقوله: (ومن الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه)، يعْني: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بما يكون بعد الموت، من

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري. أخرجه البخاري (٢٢، ٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣).

فتنة القبر، وعذاب القبر، ونعيمه. وفتنة القبر يعني: السؤال؛ إذْ يُسأل كُلُّ إنسان، أسئلة ثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

وهذه الأصول الثلاثة ضَمَّنَها الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: في هذه الرسالة، وكتب فيها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رسالته المشهورة (الأصول الثلاثة)، وهي: معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه ورسوله.

وهذه الأصول الثلاثة، يُسأل عنها الإنسانُ في قبره، فيثبت الله المؤمنين بالقول الثابت. وأما الكافر والفاسق فلا يجيب. والسائل: هما: منكر ونكير.

فالمؤمن يثبته الله ـ نسأل الله أن يثبتنا وإياكم ـ، فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي.

والفاجر لا يستطيع أن يجيب عن هذه الأسئلة، كما في حديث البراء بن عازب[1]؛ فإذا سُئل: من ربك؟ يقول: ها ها لا أدري، وإذا سئل عن دينه؟ يقول: ها ها لا أدري، وإذا سئل عن نبيه؟ يقول: ها ها لا أدري؛ سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه، فيُضرب بمرزبة من حديد، فيقال: لا دريت ولا تليت؛ فيصيح صيحة يسمعها كُلُّ مَنْ خلق اللهُ إلا الثقلين، ولو سمعها الإنسان لصعق ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ. فلا بد من الإيمان بهذا، ولا بد من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأن النعيم في القبر حق، وأن المؤمن يُنعم في قبره، وأنه يفتح له باب إلى الجنة ويأتيها من ريحها وطيبها.

وأما الكافر والفاجر، فإنه يضيّق عليه في قبره، ويُفتح له باب من النار، فيأتيه من حرّها وسمومها.

وقد أنكرت المعتزلةُ عذاب القبر ونعيمه، ونصوصُ القرآن والسنة، ترُدُّ عليهم، وتثبت عذابَ القبر؛ منها: قوله تَعَالَى عن آل فرعون: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، والنسائي في الكبرى (٣٩٥)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وهناد في الزهد (٣٣٩)، والمروزي في زوائد على الزهد لابن المبارك (١٢١٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧ ـ ٣٨) وصححه، وغيرهم.

سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]. وهذا إثبات لعذاب القبر. وفي الباب أدلة أخرى كثيرة.

۞ ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ: إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ الْكُبْرَى فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ وَيُلْجِمُهُمْ الْعَرَقُ.

الشَّرْح

ومن الأدلة على نعيم القبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

ومن الأدلة في السنة على عذاب القبر، ما جاء في الحديث الصحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثم أخذ جَرِيدَةً رَطِبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرز في كل قبر واحدةً، قالوا: يا رسول الله لم فعلت؟ قَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢١٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، وابن ماجه (٣٤٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢٢٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فلا بد من الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، خلافاً لأهل البدع.

فالمؤمن إذا وُضع في قبره، انتقلت روحه إلى الجنة وَتَنَعَّمَتْ، كما في الحديث: «**إنما مثل نسمة المُؤْمِنِ طائر فِي شَجَرِ الجَنَّةِ، حَتَّى يبعث اللهُ ﷻ إِلَى جَسَدِهِ، يَوْمَ القيامة**»(١).

فإذا نبت الناس، وخلقهم الله، وبُدلت الصفات، بحيث ينشأ الناس فيها تَنْشِئةً قوية يستطيعون فيها الثبات، ووقوف هذا الموقف العظيم، بعد ذلك يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الثانية، فتعود الأرواح إلى أجسادها. وهذه الإعادة غير الإعادة التي في البرزخ، عندما يسأل الملكان الميتَ عن ربه، ودينه، ونبيه.

والأرواح لا تموت، بل الأرواح باقية: إما في عذاب، وإما في نعيم. فالمؤمن إذا مات نُقلت روحه إلى الجنة، والكافر تُنقل روحه إلى النار، ولها صلة بالجسد. وروح المؤمن تنعم وحدها، وتأخذ شكل طائر، كما في الحديث الذي سبق.

وروح الشهيد تنعم بواسطة حواصل طير خضر، تسبح في الجنة، تَرِدُ أنهارها، وتأكل من ثمارها؛ لأنهم لما بذلوا أجسادهم لله، عَوَّضهم الله أجساداً أخرى تتنعم أرواحهم بواسطتها.

أما روح المؤمن غير الشهيد فتتنعم وحدها، كما جاء في الحديث.

فالروح تتنعم أو تتعذب إلى يوم القيامة. فإذا قامت القيامة، وأمر اللهُ إسرافيلَ بالنفخ في الصور؛ عادتْ الأرواح إلى أجسادها؛ كما أخبر به رسول الله ﷺ الأمةَ؛ أن الناسَ تنبت أجسادهم في القبور حتى تتكامل، فإذا

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٢)، وابن ماجه (١٤٤٩، ٤٢٧١)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٥٥)، ومالك في الموطأ (٨٢٠)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٥٦)، وغيرهم، وقال الترمذي: حسن صحيح. ولمزيد من البحث راجع السلسلة الصحيحة (٩٩٥)، وصححه الشيخ الألباني بطرقه وشواهده من طريق كعب بن مالك رضي الله عنه.

نفخ في الصور، رجعت كُلُّ روح إلى جسدها؛ فدخلت فيه، فانشقتْ الأرضُ عنه، فخرج من قبره.

ومما ينبغي التنبيه له: أن البعثَ: إعادةٌ، وليس تجديداً، كما يقوله المبطلون، فسائر الناس تبلى أجسامهم، ولا يبقى منهم إلا عَجب الذنب؛ وهو العُصعُص؛ آخر فقرة في العمود الفقري؛ وهي حبة صغيرة لا تأكلها الأرض. يقول النبي ﷺ: «**كل ابن آدم يَبلى إلا عجب الذنب منه وفيه يركّب**»(١)؛ فإذا تحوّل الجسدُ إلى ترابٍ، وأصبحتْ العظامُ رميماً، جَمَعَ اللهُ ذلك كُلَّه، فتكوَّنَ الجسدُ؛ فحينئذ عادت الأرواح إلى أجسادها.

فحينما يأمر الله إسرافيل بنفخ الصور؛ تقوم القيامة، فينفخ في الصور نفختيْن؛ نفخة لصعقة الموت، ونفخة لقيام البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨].

ومن لم يؤمن ببعث الأجساد؛ فهو كافر بالإجماع، وبنص القرآن، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وقوله: (فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة، عراةً، غرلاً) وَرَدَ هذا في حديث عائشة رضي الله عنها المرفوع: «**يُحْشَرُ الناس يومَ القِيامة حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً**». قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض. قال ﷺ: «**الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

ومعنى: (**حُفَاةً**): أي: غير منتعلين.

ومعنى: (**عُرَاةً**): أي: لا ثياب عليهم؛ غير مُستترين.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٥)، واللفظ له، وأبو داود (٤٧٤٣)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٢٢ ـ ٤٢٨)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩)، والنسائي (٤/ ١١٥).

و(**غُرْلاً**): جمع أغرل، والأغرل: وهو غير المختون.

وقول عائشة رضي الله عنها قُلْتُ يا رسول الله: أينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**الأمر أشد من ذلك**»، يعني: أن الناس يومئذٍ كل تحت بصره ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، فالأمر عظيم. فلهول المطلع، وشدّة الخطب؛ يبقى الناسُ في دهشة وذهول، لا يكاد أحدٌ يرى أحداً، كما أن الإنسان إذا اندهش وهو ينظر تجاهك ويراك، وقد أصابَهُ قبل ذلك أمر أدهشه؛ فإنه من الدهشة، إذا كلَّمتَه؛ لا يرد على كلامك؛ لأنه مندهش؛ إمَّا من شدة الفرح، أو من شدة الحزن؛ فلا يدري ما حوله.

فإذا كان هذا حاله في الدنيا؛ فكيف يكونُ حاله في الآخرة، في ذلك الموقف العظيم، المَهيب؟!

فالموقف هناك أشد وأعظم، من أن ينظر الرجالُ والنساءُ بعضهم إلى بعض، بل كُلٌّ يريد الخلاص والنجاة، ومع ذلك: فإنهم يُكْسَوْن بعد هذا، وقد جاء في الحديث أن أول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام[(١)]. وهذه منقبة لإبراهيم عليه السلام، وهذا لا يدل على أنه أفضل من حفيده، نبينا محمد ﷺ، بل نبينا ﷺ أفضل؛ لأن هذه مزية خاصة، ونبينا محمد ﷺ له مزايا عديدة.

كما أن من مزايا موسى: أنه يوم القيامة يأخذ بقائمة من قوائم العرش، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَةِ الطُّورِ؟**»[(٢)].

فهذه منقبة لموسى، سواء صُعق أو لم يصعق، لكن الفضيلة والمزية

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٠)، والترمذي (٢٤٢٣)، والنسائي (٤/ ١١٧)، وأحمد في المسند (١/ ٢٣٥، ٢٥٣)، والدارمي (٢/ ٣٢٦)، وغيرهم كلهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٤١١، ٣٤٠٨)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٧٣)، وأبو داود (٤٦٧١)، وغيرهم كثير كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري. أخرجه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤)، وغيرهم.

الخاصة؛ لا تقضي على المزايا العامة. فأفضل الأنبياء نبينا: محمد ﷺ، ثم يليه جده إبراهيم، ثم موسى، ثم بقية أولي العزم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وقوله: (وتدنوا منهم الشمس)، أي: تقرب منهم مقدار ميل، وهم في العرق يومئذٍ على حسب أعمالهم، فمنهم مَنْ يصل العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه، ومنهم من تلجمه إلى رقبته.

۞ وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ ـ وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ ـ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ: فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتِ لَهُمْ وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ وَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

الشَّرْحُ

وقوله: (وتنصب الموازين): أي: هذه الموازين التي تُنصب، يُوزن فيها الأشخاص، فمن ثقلت موازينه: نجا، ومن خفت موازينه: هلك، كما قال الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

فَوَزْنُ الأشخاصِ؛ بِقَدْر الأعمال، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يوم القيامة، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١)؛ لأن الذي يخفّه، أو يثقّله، إنما هو عمله.

ومن الأدلة كذلك: أن ابن مسعود رضي الله عنه، كان دقيق الساقين، وكان يمشي، وَلَمَّا كَشَفَتِ الرِّيحُ عَنْ سَاقَي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، ضَحِكَ الصَّحَابَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مِمَ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نبي اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أثقل فِي المِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٢).

أي: ثَقُلَتَا؛ بالعمل الصالح.

فكل ما سبق؛ يجب الإيمان به؛ فيجب الإيمان بالبعث، والإيمان بالوقوف بين يدي الله، والإيمان بوزن الأعمال. وهذا كله داخل في الإيمان باليوم الآخر.

وقوله: (وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال) أي: أن أعمال العبد التي عملها في الدنيا، تنشر في الدواوين والصحائف، ويُعطى كل واحد صحيفتَه؛ إما بيمينه، أو بشماله. وهذه الدواوين توزن أيضاً.

فالمؤمن يُعطى صحيفته بيمينه؛ فيأخذها بيمينه، والكافر يُعطاها بشماله؛ من وراء ظهره، ـ نعوذ بالله مِنْ أنْ نُعْطَاهَا بشمالنا ـ.

فالمؤمن يأخذها بيمينه، وكل مؤمن لقيه يقول له مستبشراً: هاؤم اقرءوا كتابيه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، واللفظ له، ومسلم (٢٧٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح لغيره: أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠ ـ ٤٢١) واللفظ له، والطيالسي في مسنده (٣٥٥)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣١٠، ٥٣٦٥)، والطبراني في الكبير (٨٤٥٢)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٦٩)، وغيرهم كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٣].

وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله؛ من وراء ظهره، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٢].

وإنما كان جزاؤه ذلك الجزاء؛ لأن عمله خبيث، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٠ ـ ١٢].

وقال في الآيات التي سبقتها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٧ ـ ٩].

فالأعمالُ تُكْتَبُ، وتُدَوَّنُ في صحائف الأعمال، وتكون لازمة للإنسان في عُنقه؛ فإذا كانت القيامة، أُخرج له ذلك الكتابُ، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]. والطائر: ما طار وما خرج منه من عمل؛ فكل إنسان يُلزم بعمله.

وبعد أن يُؤتى له بصحيفة أعماله، يُقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] أي: أنت حاسب بنفسك، وانظر فهذا عملك؛ وماذا عملت.

كما أخبر الله جل وعلا بقوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ثم ذكر الشيخ أن الله تعالى يحاسب الخلائق جميعاً؛ في صف واحد، ويُخاطب جميع الخلائق: إنسهم وجنهم؛ في وقت واحد، ويفرغ من حساب

جميع الخلائق، من وقتٍ بقدر انتصاف النهار؛ حتى إن أهل الجنة يُدركهم القيلولة وسط النهار في الجنة، قال ﷻ: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤]، أي: قيلولة.

والله ﷻ له الكمال، فلا يتعب ولا يقيل، والإنسان ضعيف، لا يستطيع أن يكلم واحداً أو اثنين أو ثلاثة في وقتٍ واحد.

فالرب يكلم جميع الخلائق ـ مع كثرتهم ـ ويحاسبهم كلهم في وقت واحد، كما أن الله يرزقهم ويُعافيهم، ويسمع دعائهم، ويشفي مرضاهم، ويجيب المضطر؛ كل ذلك في وقت واحد، وإن كانوا عدداً لا يحصيهم إلا هو ﷻ.

فالمقصود: أن الله ﷻ يخلو بعبده، ويقرره بذنوبه؛ على كثرة الخلائق؛ كما يليق بجلاله وعظمته؛ كما جاءت بذلك النصوص.

والحساب للمؤمن والمسلم فقط؛ أما الكفّار فليس لهم حسنات، بل أعمالهم كلها سيئات؛ لأنهم كفار وليسو مؤمنين، وإذا فعلوا حسنات في الدنيا؛ فإنهم يجازون بها؛ صحةً في أبدانهم، وولداً، ومالاً، وطعمة يطمعون بها.

فالكفار لا يحاسبون محاسبةَ مَنْ له حسنات وسيئات، وإنما تُحصى أعمالهم وتُعّد عليهم، ويقررون عليها، ويعترفون بها، ثم يساقون إلى النار سوقاً ـ نعوذ بالله ـ كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٦]. وليُعْلَم أنَّ الميزان؛ ميزان حسي، عظيم، له كفتان، كل كفة كطبق السماوات والأرض، وقد اختلف العلماء: هل هو ميزان واحد، أو موازين؟ فقيل: هو ميزان واحد، وأما قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فإنما جُمعت الموازين باعتبار الموزونات، وإلا فهو ميزان واحد.

والمعتزلة ينكرون الميزان الحسي، ويقولون: المراد: إظهارُ العدل، والميزان إنما يحتاجه البقال والفوال! وقولهم هذا: خلاف النصوص.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

۞ وَفِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنْ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً..

الشَّرْحُ

من عقيدة أهل السنة والجماعة، الإيمان بالحوض المورود في عرصات القيامة، والعرصات جمع عَرْصة؛ وهو المكان المتسع. فَعَرصَات القيامة؛ أماكنها.

وهذا الحوض المورود، الذي لنبينا محمد ﷺ يكون في موقف يوم القيامة، كما جاءت الأحاديث بوصفه، وأن طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، وأوانيه عدد نجوم السماء، وهو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وأن من شرب منه شربة؛ لم يظمأ بعدها أبداً، حتى يدخل الجنة.

والأحاديث التي جاءت في وصف الحوض، بلغت حد التواتر. وهذا الحوض يصب فيه ميزابان من الكوثر.

والإيمان بالحوض واجب، وأحاديثة قد بلغت حَدَّ التواتر ـ كما سبق ـ وهي تفيد العلم، واليقين.

والأحاديث المتواترة قليلة في السنة، تقارب أربعة عشرة حديثاً، وإلا فأكثر السنة آحاد، وغالب أحاديث الصحيحين من هذا النوع، وخبر الآحاد إذا استوفي شروط الصحة، يعني: إذا اتصل السند، وكان رواته عدولاً ثقات، ولم يكن شاذاً ولا مُعلّاً؛ فإنه يجب الإيمان به، ويفيد العلم، ولو لم يبلغ حد التواتر، ويجب قبوله والعمل به في العقائد والأعمال. والأحاديثُ التي في الصحيحين رواياتها كلها من هذا الباب، وقد تلقتْ الأمةُ هذين الكتابين بالقبول.

فالأحاديثُ المتواترة التي بلغت حد التواتر، تقارب أربعة عشر حديثاً: منها: حديث الحوض، ومنها: حديث الشفاعة، ومنها حديث: «**مَنْ كَذَبَ**

عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[١]، وقال بعضهم: ومنها: أحاديث النهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الفجر، ومنها: الأحاديث في الحوض ـ كما مضى ـ.

فالواجب على المسلم: الإيمان بما ثبت في النصوص، والرد على أهل البدع، والإنكار عليهم، والبُعد عن معتقدهم الفاسد.

۞ وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ ـ وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ـ يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْواً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْياً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفاً، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

الشَّرْحُ

من الأمور التي تكون يوم القيامة، ويجب الإيمان بها: الصراط، وهو الجسر المضروب على متن جهنم، بين الجنة والنار. وهذا الجسر جاءت

---

(١) هذا حديث بلغ حد التواتر؛ فأخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد عن أنس ﷺ، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد عن الزبير ﷺ، ومسلم عن أبي هريرة ﷺ، وكثير من الصحابة ﷺ أجمعين. ولمزيد من البحث راجع صحيح الجامع (٦٥١٩).

الأحاديث في وصفه، قال أبو سعيد الخدري ﷺ: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة، وأحدّ من السيف»[(١)].

والناس يمرون عليه بقدر أعمالهم: **فالطائفة الأولى**: تَمُرّ كلمح البصر، ومنهم من يَمُرّ كالبرق؛ ولا يحسون بشيء.

والطائفة الثانية: تمر كالطير، وكالريح، وكأجاود الخيل ـ أي: كالخيل الجياد ـ. ثم كركاب الإبل، وكالرجل يعدو عَدْواً ـ أي: يركض ركضاً ـ والرجل يمشي مشياً، والرجل يزحف زحفاً، وعلى الصراط كلاليب تخطف من أُمرت بخطفه، وتلقيه في النار؛ على حسب الأعمال، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمُكَرْدَسٌ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ.

والأنبياء دعواهم ـ يومئذٍ ـ كما ثبت عند البخاري ومسلم: «سَلِّمْ سَلِّمْ»[(٢)]. وهذا شعار الرسل، وشعار المسلمين أيضاً يوم القيامة. ومرورهم الصراط، على قدر الأعمال.

ثم من سَلِم وصعد وتجاوز الصراط، دخل الجنة، ولكن قبل أن يدخل المؤمنون الجنة، يمرون على صراطٍ آخر؛ خاص بالمؤمنين، يعني: القنطرة، فيوقفون عليها، قبل أن يدخلوا الجنة؛ فيقتص لبعضهم من بعض؛ وهو قصاص خاص بالمؤمنين؛ في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا، سواء أكانت في الأبدان، أو الأموال، أو غيرهما. والمقصود: أنه يُقتص لبعضهم من بعضٍ، فإذا هُذبوا ونُقوا، وأُخرج الغل والحقد من صدورهم؛ أُذِنَ لهم بعد ذلك بدخول الجنة، على غاية من الصفاء، وعلى غاية من سلامة الصدور، فيدخلونها إخواناً على سرر متقابلين، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: ٤٧] ـ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة ـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٢، ٤٤١٩)، ومسلم (١٨٣)، واللفظ له، والنسائي (٨/ ١١٢)، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢)، عن أبي هريرة ﷺ.

والخلاصة: أنه يجب الإيمان بالصراط، والميزان، والحوض وأنها كلها تكون يوم القيامة؛ قبل دخول الجنة.

واختلف العلماء متى يكون الحوض؟ ومتى يَرِدُ الناسُ على الحوض؟

هل يَرِدُ الناسُ على الحوض قبل الصراط؟ أم بعد الصراط؟ وقبل الميزان أو بعد الميزان؟

وسبب هذا الاختلاف راجع إلى الأحاديث الواردة في هذا؛ وأكثر الأحاديث تدل على أن من سيردون الحوض؛ قبل الميزان، وقبل الصراط، وهذا هو الأقرب إلى فهم الحديث.

وكذلك: فإنَّ المعنى يقتضيه؛ لأن الناس يخرجون من قبورهم، عطاشى، فيحتاجون إلى الشرب؛ فيردون على الحوض، قبل الميزان، وقبل الصراط؛ ولأنه لو كان الورود على الحوض بعد الميزان؛ لكان مَنْ خفت موازينه، لا يَرِدُ على الحوض، ويعلم أنه ليس من أهل الورود؛ فلا يَرِد؛ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة:

منها: حديث سهل بن سعد الأنصاري ﷺ: «**أنا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ وَرِدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، ولَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»[1] ـ وزاد أبو سعيد الخدري: ﷺ ـ فَأَقُولُ: «إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بدل بَعْدِي»[2]. يعني: أسبقكم، والفرط هو الذي يتقدم على القوم ويهيئ لهم، ويُعد لهم المكان والشيء؛ يقال له: «فرط».

وحديث أنس ﷺ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمُ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠)، واللفظ له عن سهل بن سعد ﷺ.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩١)، واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيقول: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[١].

قال العلماء: إن هؤلاء الذين يُرَدُّون هم الأعراب الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، فالمرتدون لا يردون على الحوض، ولا يشربون؛ لا يرده إلا المؤمنون.

فالمناسب ـ على ما دلت عليه الأحاديث ـ: أن يكون الورود على الحوض، قبل الصراط وقبل الميزان؛ لأن المعنى يقتضي هذا؛ ولأن الناس يردون عطاشى، فيحتاجون إلى الشرب.

وقال آخرون: يكون الورود على الحوض بعد المرور على الصراط؛ لِمَا ورد في حديث النضر بن أنس؛ وذلك أن أنساً قال: «**سَأَلْتُ النبيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَالَ: أَنَا فَاعِلٌ، قَالَ: قلتُ: يَا رسول الله! فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي على الصِّرَاطِ، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَاطلبني عِنْدَ المِيزَانِ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: فاطلبني عِنْدَ الحَوْضِ، فإني لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاث المَوَاطِنَ**»[٢].

وهذا الحديث يدل ظاهره على أنَّ الورود يكون بعد الصراط.

قال بعض العلماء: أنه يكون ـ أي: الورود على الحوض ـ بعد الصراط، وهذا يُشكِل عليه، الأحاديثُ التي دلت على أن الورود يكون قبل الصراط؟! فقال بعض العلماء؛ جمعاً بينهما: يحتمل أن يكون الحوض ممتداً؛ إذا كان طوله مسافة شهر؛ وعرضه مسافة شهر؛ فيكون طرفه قبل الصراط، والطرف الآخر بعد الصراط؛ وأنهم يَرِدُون مرتين: يردون على الحوض أولاً، فإذا تجاوزوا الصراط بعد التعب، يحتاجون الورودَ؛ فيردون مرةً أخرى.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٤)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ١٨٧)، وصححه الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (٢٦٣٠).

وقال آخرون في الجمع بين الأحاديث: إن الناس قسمان: قسم يردون الحوض قبل الصراط. وقسم: يردون بعد الصراط.

وقال آخرون: لا يمكن أن يكون الورود بعد الصراط؛ لأن الحوض الذي في موقف القيامة؛ حوض نبينا ﷺ، يصب فيه مرزبان من نهر الجنة، والصراط منصوب على متن جهنم، ولو كان الحوض بعد الصراط؛ لحالت النار بين المرزابين، يعني: إذا كان الحوض بعد الصراط؛ لصارت جهنم تحول بينه؛ فدل على أنه يكون قبل ذلك.

وهناك مسألة مهمة تنبه لها سماحة شيخنا: الشيخ عبد العزيز بن باز ـ غفر الله له ورحمه، وجمعنا به في الفردوس الأعلى ـ وهي: إن صحت الأخبار أنهم يَرِدُون بعد الصراط؛ فهذا نهرٌ يردونه في الجنة؛ لأن الصراط ممدود على متن جهنم؛ يصعد الناس عليه إلى الجنة، فمن جاوز الصراط؛ وصل إلى الجنة، والحوضُ في الأرض؛ فلا يرجعون إلى الأرض مرةً ثانية بعد صعودهم إلى الجنة، وهذا هو الذي تدل عليه الأحاديث، ويدل على ذلك أيضاً: أنه يذاد أقوام قد غيروا وبدلوا، وهذا يكون في موقف القيامة، أما بعد المرور على الصراط؛ فإن الأمر يكون قد انتهى؛ فمن سقط في النار؛ فقد سقط، ومن تجاوز الصراط؛ وصل إلى الجنة.

فأين يكون الحوض؟ هل يكون بعد القنطرة: نهاية الصراط؛ عند باب الجنة؟ أو يكون الكوثر الذي يردونه؟!

فهذا يؤيد أن الحوض قبل الصراط، وهذا هو الأقرب، والله أعلم.

فالترتيب هكذا: أولاً: الحوض يَرِدُ الناس عليه، ثم الميزان، ثم الصراط.

وهذا الكلام الذي وصفتُه، هو من باب الإيضاح والفائدة.

فمن مَرَّ على الصراط: دخل الجنة، ومن لم يتجاوز: سقط في النار، وقد قيل: صراط خاص بالمؤمنين، وقيل: طرف الصراط.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

۞ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ: أُمَّتُهُ.

الشَّرْحُ

أول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول بك أُمِرتُ لا أفتح لأحد قبلك**»[(١)] فأول من يدخل الجنة؛ نبينا محمد ﷺ، وأول من يدخل من الأمم؛ أمة محمد ﷺ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخِرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**»[(٢)].

۞ وَلَهُ - فِي الْقِيَامَةِ - ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ تَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمَ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَنْ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيُشَفَّعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ؛ وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيُشَفَّعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٣/ ١٣٦)، وابن المبارك في الزهد زوائد نعيم (٤٠٠)، وعبد بن حميد (١٢٧١)، وأبو عوانة (١/ ١٥٨ - ١٥٩)، وابن مندة في الإيمان (٨٦٧)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٠).

(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٨٥٥)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٢/ ٢٧٤).

لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ؛ فَيُشَفَّعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا وَيُشَفَّعَ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى مِنْ النَّارِ أَقْوَاماً بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَيَبْقَى فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَاماً فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنْ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَتَفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنْ الْعِلْمِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ الأَنْبِيَاءِ.

وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ: مَا يَشْفِي وَيَكْفِي فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

الشَّرْحُ

هذه الشفاعات للنبي ﷺ وهي ثلاث شفاعات:

(**الشفاعة الأولى**): الشفاعة العظمى: وهي التي تكون في موقف القيامة، وهي المقام المحمود، الذي يغبطه الأولون والآخرون، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

فالمقام المحمود هو: الشفاعة العظمى، وهذه الشفاعة عامة للمؤمنين والكفار، وهذه الشفاعة لإراحة الناس من الموقف حتى يُقتص لبعضهم من بعضٍ، وهذه الشفاعة يتراجع عنها الأنبياء وألوا العزم الخمسة، والناس يومئذٍ يموج بعضهم في بعض؛ وذلك حينما يشتد بهم الكرب، والشمس قد دَنَتْ من الرؤوس، والناس يقاسون من شدة الحر ما يقاسون؛ فيفزعون إلى الأنبياء، ويطلبون منهم الشفاعة، وهذا جائز؛ لأنهم أحياء؛ فلا بأس من طلب الشفاعة من الحي الحاضر القادر.

والشفاعة العظمى خاصة بنبينا محمد ﷺ، ودليلها حديث الصور الطويل

المروي في «الصحيحين» وغيرهما عن جماعة من الصحابة ﷺ، منهم أبو هريرة ﷺ قال: «أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الناسَ: الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ. فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عليكم بآدم، فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ له: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إلى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نَوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ؛ إنكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقد سَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عز وجل قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُها عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشفع لنا إلى ربك، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإني قَدْ كنتُ كذبتُ ثلاث كذبات. . . ، اذهبوا إلى غيري، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى.

فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يا موسى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضّلَكَ اللهُ برسالته وبكلامه عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ:

إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى.

فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيّاً، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ـ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً ـ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَأْتُونَ محمداً ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقد غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَانطلقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي ﷻ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عليه شيئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثم يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسي فَأَقُولُ: أُمَّتِي، يَا رَبِّ؛ أُمَّتِي، يَا رَبِّ؛ فَيُقَالُ يا محمد: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِم مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذلك مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَر، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1]، أخرجاه في «الصحيحين»، ومسند أحمد، واللفظ للبخاري.

فيأتي الله لفصل القضاء، ويحاسب الخلائق أجمعين في وقت واحد. هذا هو المقام المحمود الخاص بنبينا محمد ﷺ الذي يغبطه الأولون والآخرون، وهذه هي الشفاعة العظمى التي له ﷺ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٠، ٤٧١٢)، واللفظ له، ومسلم (١٩٤)، والترمذي (٢٤٣٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وغيرهم، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي الباب عن أنس أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

وهي للكفار والمؤمنين جميعاً؛ لأن هذه الشفاعة لإراحة الناس من هذا الموقف.

(والشفاعة الثانية): الشفاعة لأهل الجنة في أذنهم لدخولهم الجنة، وهذه خاصة بنبينا محمد ﷺ، فلا يدخلون الجنة حتى يشفع لهم بدخولهم الجنة. فهاتان الشفاعتان خاصتان به. ودليله ما في «صحيح مسلم» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الجَنَّةِ**»(١).

(وهناك شفاعة ثالثة خاصة به): وهي غير التي ذكرها المؤلف؛ وهي الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، فهذه شفاعة خاصة بالنبي ﷺ، وخاصة بأبي طالب. وهي شفاعة في تخفيف العذاب عنه، لا في إخراجه من النار؛ فهذا استثناء من عموم الكفار، وإلا فالكافر ليست له شفاعة، لكن هذه شفاعة خاصة، لأن أبا طالب خف كفره، بحمايته للنبي ﷺ، والذود عنه، والدفاع عنه؛ فالنبي ﷺ يشفع له.

ودليلها ما ورد عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: «**نَعَمْ، وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنْ النار فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»(٢). وفي روايةٍ: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب**»(٣).

وفي رواية: «**لعلَّه تنفعُه شفاعتي يوم القيامة فيُجعل في ضَحْضَاحٍ من النار يبلغ كَعْبيه يغلي منه دِمَاغُهُ**»(٤).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٦)، وأحمد في المسند (٣/ ١٤٠)، والدارمي (٥١)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٤٣٦، ١٤/ ٩٥)، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٥٩، ٣٩٦٨، ٣٩٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٩٦)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦١٨)، وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٥٨)، كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢١٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٣٨٨٦، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فهذه خاصة بنبينا ﷺ، وخاصة بأبي طالب، فالرسول ﷺ له: ثلاث شفاعات خاصة به، وبقية الشفاعات مشتركة بين نبينا ﷺ وبين غيره؛ كالشفاعة في قوم استحقوا دخول النار، فلا يدخلونها، فهذه يشفع فيها نبينا ﷺ، ويشفع فيها الأنبياء.

وكذلك من الشفاعات المشتركة: الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم ليدخلوا الجنة.

والشفاعة في قوم دخلوا النار فيخرجون منها، والشفاعة في قوم من أهل الجنة في رفع درجاتهم؛ فهذه شفاعات مشتركة، وأما الشفاعات الثلاثة الأولى؛ فهي خاصة بنبينا ﷺ.

وباقي الشفاعات مشتركة، ويشفع فيها الأنبياء، والصديقون، والشهداء، والملائكة؛ كما سبق ذكره.

وهناك أقوام من أهل التوحيد يخرجون من النار، بغير شفاعة، بعد أن تنتهي الشفاعات؛ لأن نبينا ﷺ يشفع ثلاث مرات، كل مرة يحد الله له حداً، ويشفع بقية الأنبياء، ويشفع الملائكة، ثم تبقى بقية لا تنالهم الشفاعة، فيخرجهم رب العالمين برحمته؛ يقول الرب: شفعتْ الملائكة، وشفع النبيون، فلا تبقى إلا رحمةُ أرحم الراحمين، فيُخرج قوماً من النار لم يعملوا عملاً قط.

ويبقى في الجنة فضل عمَّن دخلها من أهل الدنيا، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة.

وهذا من فضله وإحسانه؛ النارُ يبقى فيها متَّسَعٌ، لكن يضعُ الجبَّار فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وكذلك الجنة يكون فيها متسع؛ فينشئ الله خلقاً فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته، وأما النار فلا يعذب الله فيها أحداً إلا بذنب.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ أصناف وأنواع ما تضمنته النصوص، على الدار الآخرة من الحساب، والثواب، والعقاب: كثيرة غير هذه، لكن هذه أهم ما

فيها، وهي موجودة في الكتب المنزلة على الأنبياء، وفي الآثار الموروثة عنهم، لكن في العلم الموروث عن النبي ﷺ ما يكفي ويشفي.

والعلم الموروث عن النبي ﷺ، هو: ما جاء في الكتاب والسنة، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه؛ أخذ بحظٍ وافر.

۞ وَتُؤْمِنُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ ـ أَهْلُ السُّنَّة وَالْجَمَاعَةِ ـ (بِالْقَدَرِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَالإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنْ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ: «**فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ جَفَّتْ الأَقْلَامُ وَطُوِيَتْ الصُّحُفُ**»، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾، [الحديد: ٢٢] وَهَذَا التَّقْدِيرُ ـ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ ـ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ: وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكاً؛ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيُقَالُ لَهُ: اُكْتُبْ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؛ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيماً وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَهُوَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ لا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ وَأَنَّهُ ﷻ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنْ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ.

فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ لا خَالِقَ غَيْرُهُ وَلا رَبَّ سِوَاهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ وَيَرْضَى عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَلا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ وَلا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَلا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً وَاَللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ؛ وَالْعَبْدُ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ وَالْمُصَلِّي وَالصَّائِمُ؛ وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ؛ وَاَللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

الشَّرْحُ

أهل السنة والجماعة يؤمنون بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر ـ كما سبق ـ: أصل من أصول الإيمان، فلا يصح الإيمان إلا به. والإيمان بالقدر على أربع مراتب كما سبق: العلم، والكتابة، والإرادة والمشيئة، وخلْقه لكل شيء. وكل درجة لها مرتبتان.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدرجة الأولى: مرتبة العلم والكتابة.

والدرجة الثانية: لها مرتبة الإرادة والخَلق.

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، وهو على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين ـ كما سبق ـ:

الدرجة الأولى: تتضمن العلم، والكتابة.

والعلم المقصود به هنا: هو الإيمان بعلم الله القديم الأزلي، وأن الله يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما يكون في الحاضر، وفي المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد سبق بيان أن الله تعالى يعلم الأشياء التي لا تكون أبداً، ولا يمكن أن تكون، كقوله ﷻ عن الكفار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. أي: لَمَّا طلبوا الرجعةَ إلى الدنيا.

وكقوله ﷻ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وكقوله سبحانه في المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]. وهم ما خرجوا بَعْدُ، بل لم يخرجوا، لكن الله عَلِم ما هم صانعوه لو خرجوا.

الدرجة الثانية: الكتابة، أي: كتابة الله في اللوح المحفوظ لكل شيء يكون في هذا الكون؛ كَكَتْبِه أرزاق العباد، وآجالهم، وأعمالهم، وأحوالهم، وصفاتهم، وذواتهم، فكل شيء في هذا الكون؛ فهو مكتوب، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

فدلتْ هذه الآيات على إثبات صفة العلم والكتابة.

وقال في الكتابة: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ. فهذه كتابة عامة شاملة.

وفي الحديث: (**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: رب وماذا**

أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)[١]. وفي لفظ: «فجرىٰ في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٢].

فالله عَلِمَ أفعال العباد، وحركاتهم، وسكناتهم، وأعمالهم، وخلق ذلك قبل أن تُخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «**كتب اللهُ مقادير الخلائقِ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وعرشه على الماء**»[٣].

فالتقدير يكون جملة وتفصيلاً، والتقدير الإجمالي هو كل شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ، كما قال ﷻ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. أي: كل شيء يكون في هذا الكون.

وكذلك قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

كل هذا مكتوب في اللوح المحفوظ، هذا من حيث الإجمال. وهناك تقادير تفصيلية؛ مأخوذة من التقدير الإجمالي الذي في اللوح المحفوظ، ولا تخالفه، من ذلك: التقدير الذي كُتِبَ على آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه يأكل من الشجرة، التي نُهي عنها، فهذا كُتِب قبل خلقه بأربعين سنة، وهو مأخوذ من اللوح المحفوظ، والمقادير ـ كما عَلِمْنَا ـ سابقة قبل خلق السموات بخمسين ألف سنة.

وهذا التقدير التفصيلي على آدم قبل خلقه بأربعين سنة، الذي أشرنا إليه

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧) وغيرهم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٠١٨، ٢٠١٩).

(٢) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٤، ١٠٥، ١٠٧).

(٣) حديث صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٦١٣٨).

جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي أصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قُدّر عليَّ قبل أن أُخلق، فقال رسول الله ﷺ فحجَّ آدم موسى مرتين**»[(١)]، يعني: غلبه بالحجة.

فهذا تقدير خاص تَفْصِيلي، سابقٌ قبل أن يُخلق آدم، ولا يخالف التقدير الذي في اللوح المحفوظ، بل يوافقه.

ومن ذلك أيضاً: التقدير العمري لكل شخص، وهو التقدير الذي يكون للجنين في بطن أمه، حينما يُنفخ فيه الروح، بعد بلوغ أربعة أشهر؛ يأتيه المَلك، فيُؤمر هذا الملك بنفخ الروح، ويؤمر بكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقي أم سعيد. وهذا التقدير تفصيل يوافق ما في اللوح المحفوظ، ولا يخالفه.

وفي لفظ أن الملك يقول: يا رب ما الرزق؟ ما الأجل؟ ما الشقاوة والسعادة فيُكْتَب؟ فيخبره الله تعالى؛ فيكتب كل شيء.

وهناك تقدير سنوي؛ في ليلة القدر، يكتب الله في هذه الليلة ما يكون من شقاوة وسعادة، وإعزاز وإذلال، وصحة ومرض، ورزق، وهذا تقدير سنوي كل عامٍ؛ في تلك الليلة المباركة؛ فهو تفصيل، لا يخالف ما في اللوح المحفوظ.

وهناك أيضاً تقدير يومي، وهو أن الله ﷻ في كل يوم ـ كما قال سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩] ـ: يخلق ويرزق، ويُعز ويُذل، ويُفقر ويُغني، وهو تقدير تفصيلي لما في القدر السابق؛ يوافقه ولا يخالفه، وما كتبه الحَفظة على الإنسان فإنه أيضاً موافق لما كُتب في اللوح المحفوظ، وإذا خالفه شيء مُحي ما في كتاب الحَفظة؛ ليوافق ما في

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٧٥١٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٥٢)، والترمذي (٢١٣٤)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٩٨)، وغيرهم كلهم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

اللوح المحفوظ، كما قال ﷻ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩].

والمعنى: يمحو الله ما يشاء ويُثبت من صحف الحفظة؛ ليوافق ما في اللوح المحفوظ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، أي: أصل الكتاب، وما في اللوح المحفوظ لا يُغيَّر ولا يُبدّل.

وقوله: (فهذا التقدير قد كان ينكره غلاةُ القدرية) أي: علمه السابق الشامل لكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ، كان ينكره غلاةُ القدرية؛ فكانوا ينكرون العلم، ومن أنكر العلم فقد وصف الله بالجهل؛ ولهذا صاروا كفاراً، وقد كفّرهم العلماء، وقال فيهم الشافعي رحمه الله وغيره من العلماء: «ناظِروا القدريةَ بالعلم؛ فإن أقروا به: خُصموا، وإن أنكروه: كفروا»[(١)].

فالذي يُنكر علم الله الشامل، ويقول: إن علم الله مستأنف وجديد؛ بمعنىٰ: أنه لا يعلم بالشيء إلا بعد وقوعه، فهذا كافر؛ لأنه نسب الله إلى الجهل، ولهذا قال العلماء: إن القدرية الأولى يخرجون من الثنتين والسبعين فرقة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»**[(٢)].

فالجهمية وغلاة القدرية خرجوا من هذه الفرق فكانوا كفاراً، ولكن هذه الفرقة ـ غلاة القدرية ـ انقرضت، فبقي عامة القدرية الذين يثبتون العلم والكتابة، لكن يُنكرون المرتبتين الأخريتيْن: الإرادة والخَلق والإيجاد، بمعنى أنهم يُنكرون عمومهما، فلا يقولون: إن الله أراد كل شيء، حتى يشمل أفعال العباد، ولا يقولون: إن الله خلق كل شيء، حتى يشمل أفعال العباد. والمقصود أنهم يقولون: إن الله أراد كل شيء، إلا أفعال العباد: خيرها

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٦٧).

(٢) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٣)، وفي السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

وشرّها، وخلق كل شيء، إلا أفعال العباد؛ فهم الذين خلقوها. وهؤلاء مبتدعة. والطائفة الأولى: كفار، ولكن هذه الطائفة: انقرضت كما تقدَّم.

إذن: فقد سبق الكلام على الدرجة الأولى، وأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن أن الإيمان بالقدر على درجتين؛ وكل درجة تتضمن شيئين، كما تقدَّم شرحهما.

والدرجة الثانية من القدر تتضمن: الإرادة الشاملة، وقدرته النافذة في جميع الأشياء، وأنَّ ما شاء الله: كان، وما لم يشأ: لم يكن، وأن الله على كل شيء قدير، ومشيئته نافذة في كل شيء؛ فلا بد أن تنفذ وتقع.

والشيء الثاني: خَلْق الله تعالى لجميع الأشياء، وأن كل شيء موجود في هذا الكون؛ فالله خالقه، فيكون القدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين:

الدرجة الأولى: تتضمن: العلم، والكتابة.

والدرجة الثانية: تتضمن: الإرادة والخلق.

فما مِنْ حركة ولا سكون، ولا رطب ولا يابس، إلا والله شاءه؛ فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ولا يمكن أن يكون شيء في الوجود لا يريده الله.

فالله تعالى على كل شيء قدير، وكل موجود وكل معدوم، فالله قادر عليه، وكل ما يسمى شيئاً؛ فالله قادر عليه، خلافاً للمعتزلة والقدرية الذين لا يقولون بذلك، بل يقولون: هناك شيء لا يقدر الله عليه، وهي أفعال العباد، بل يقولون: إن الله على ما يشاء قدير، وقصدهم من هذا إخراج أفعال العباد، فإن الله ـ على زعمهم ـ لا يشاؤها، ولا يقدر عليها.

والمسلمون يقولون: إن الله على كل شيء قدير، كما قال الله في كتابه.

فهذه هي المرتبة الثانية، التي تتضمن هذه الدرجة. فما من مخلوق في هذا الوجود إلا والله خالقه، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

وقد أمر الله العباد بطاعته، وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، يعني: بما شرع في كتبه وعلى ألسن رسله، فمن الناس من امتثل لهذه الأوامر، واجتنب النواهي، ومنهم من عصى الأوامر، وارتكب النواهي؛ لأن الأوامر الدينية، قد يفعلها بعض الناس، وقد لا يفعلها البعض الآخر، بخلاف الأمر الكوني، فإنه لا يتخلف، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون.

والأمر ينقسم إلى قسمين: أمر ديني، وأمر كوني.

فالأمر الكوني لا يتخلف؛ مثل الإرادة الكونية، والأمر الديني، قد يتخلف المراد منه؛ فقد يفعل الناس الأمر الديني، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [هود: ١١٤]. فهذا أمر ديني، فمن الناس من يمتثل هذا الأمر فيصلي، ومنهم من يعصي هذا الأمر. أما الأمر الكوني فلا يتخلف المراد منه.

ومثال الأمر الكوني، قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦]، يعني: أمرناهم أمراً كونياً.

وهو سبحانه يحب المحسنين والمقسطين، والمتقين، كما أخبر بذلك في كتابه، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، يعني: ديناً وشرعاً.

ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ديناً وشرعاً، كما أخبر الله ﷻ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

ولا يحب الكافرين، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

لا يحبهم ديناً وشرعاً، ويُبغِضهم ويمقتهم، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [غافر: ١٠].

ولا يرضى عن القوم الفاسقين؛ كما أخبر ﷻ بقوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٦].

﴿تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾: أي: المنافقين.

ولا يأمر بالفحشاء؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨].

ولا يحب الفساد: أي: ديناً وشرعاً؛ لأن الله ﷻ أنزل كتبه، وأرسل رسله بهذا.

وقوله: (والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم): فيه: بيانُ معتقد أهل السنة والجماعة، وأن العباد فاعلون حقيقة؛ لأنهم مختارون وقادرون؛ فلهم قدرة واختيار، قد باشروا بهما تلك الأفعال واكتسبوها. والإنسان يجد هذا من نفسه، فأنت تستطيع أن تقوم وتقعد، وتجلس، وتستطيع أن تأتي إلى الدرس، وتستطيع أن تتخلف وتجلس في البيت؛ لا أحد يمنعك؛ لأن الله تعالى أعطاك القدرة والاختيار، في الفعل والترك.

فالله تعالى خالق الإنسان، وخالق قدرته، وفعله، وأعطاه القدرة على الفعل والترك؛ ولهذا صارت الأفعال تُنسب إلى العبد؛ فصار هو المطيع، والعاصي، والظالم، والفاسق، والمصلي، والصائم، خلافاً للجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبر على أفعاله، وأن أفعاله هي أفعال الله، وإنما تُنسب إلى العبد من باب المجاز؛ لأن الله هو الفاعل، وإنما تجري الحركات على العباد اضطراراً. فالله تعالى هو الذي؛ يُجريها على أعضاء الإنسان، وإلا فالإنسان أفعاله كلها اضطرارية. وهذا مذهبٌ باطل؛ لأن كل عاقل يُفرِّق بين حركة المرتعش والنائم، ونبض العروض، وبين حركة الإنسان الاختيارية؛ ففرقٌ بين الحركة القسرية الاضطرارية، والحركة الاختيارية، ولهذا فإن الجبرية ينسبون الأفعال إلى الله؛ ويقولون: الله هو المصلي، والصائم؛ والأفعال إنما هي أفعال الله، وإنما تُنسب إلى العبد مجازاً. ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**والعبد هو المؤمن والكافر، والبَر والفاجر، والمُطيع والعاصي**)، إبطالاً لمذهب الجبرية وإلزماً لهم، الذين يقولون: إن الأفعال أفعال الله.

ومعتقد أهل السنة والجماعة في هذا الباب: أن العباد لهم قدرة على أفعالهم، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، وكل إنسان يُدرك هذا؛ ويدرك أن عنده قدرة وإرادة، وآلات وأسباباً يعمل ويفعل بها، فالصانع ـ مثلاً ـ عنده قدرة يستطيع أن يصنع بها، والحرّاث كذلك يحرث، والبنّاء يبني، والنجّار ينجر؛ فكل هؤلاء لديهم قدرة، وإرادة واستطاعة. فالله تعالى خلق العبد، وخلق قدرته وإرادته، فالقول بأنه مضطر ومُجبر على أفعاله: هذا من أبطل الباطل، ومخالف للحس، وللعقل، وللشرع.

قال تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨﴾ [التكوير: ٢٨].

فأضاف المشيئة إلى العباد؛ فقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾ فدل على أن العبد له مشيئة. ثم قال تعالى في الآية التي تليها: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾. فأخبرنا أن مشيئة العبد، تابعة لمشيئة الله.

۞ وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنْ الْقَدَرِ: يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيَخْرُجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

الشَّرْحُ

هذه الدرجة من القدر التي تتضمن الإرادة، والخَلق والإيجاد، يُكذِّبُ بها عامة القدرية، يعني: غالب القدرية، الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ولكنهم يُثبتون الدرجة الأولى؛ التي تتضمن العلم والكتابة، وهؤلاء

مبتدعة، وقد سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، وهناك آثار وأحاديث جاءت في مقت القدرية لكنها ضعيفة عند أهل العلم، وبعضها موقوف على الصحابة، والموقوف أصح؛ ومن ذلك: ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(١).

خلافاً لأحاديث الخوارج فإنها ثابتة في الصحيحين وغيرهما، أما أحاديث القدرية فهي ضعيفة.

والصواب أنها موقوفة على الصحابة.

وسمو بمجوس هذه الأمة؛ لمشابهتهم للمجوس، في القول بتعدد الخالِقِينَ.

فالمجوس يقولون بتعدد الخالق: وأن العَالَم له خالقان: خالق الخير، وخالق الشر.

والقدرية يقولون: كل واحد يخلق فعل نفسه؛ فقالوا بتعدد الخالق. فوجه المشابهة بينهم وبين المجوس؛ القول بتعدد الخالق، لكنهم لا يَكفُرون؛ لِما لهم من شبهة.

وشبهتهم أنهم قالوا: لئلا يلزم على ذلك أن يخلق المعاصي ويعذب عليها، وذلك بناءً على أصلهم وهو: أنه يجب على الله فعل الأصلح للعبد، وفعل الأصلح للعبد هو في أن يقدّر لهم الطاعة لا المعصية؛ فلو قدَّر المعصيةَ وعذَّب عليها؛ للزم عليه أن يخلق المعاصي ويعذب عليها.

هذه شبهتم وهي باطلة؛ لأن الله تعالى قدَّرَ ذلك لحِكم وأسرار، وهم باشروها، وكسبوها، وعُذِّبوا على كسبهم واختيارهم لها، وقدرتهم عليها.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩١)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٦٩١)، ولمزيد من البحث راجع ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني (٣٢٨ ـ ٣٢٩)، والسلسلة الصحيحة (٢٧٤٨)، والمشكاة (١٠٧).

والمقصود: أن هذه الدرجة من القدر؛ وهي: القول بأن العباد لهم إرادة، والقول بأن الله تعالى أراد أفعال العباد وخلقها؛ عامة القدرية النفاة ـ الذين هم مجوس هذه الأمة ـ: يُنكرون عمومها، بمعنى أنهم يقولون: إن الله تعالى، إرادته ليست عامة، بل يخرج منها أفعال العباد؛ فإنه لم يُرِدها؛ كما أن خلق الله للأشياء ليست عامة، بل يخرج منها أفعال العباد.

فهؤلاء جفوا ونفوا، فهم على طرف، وقابلهم في الطرف الآخر؛ القدرية الجبرية، الذين يقولون: إن العبد مجبورٌ على أفعاله، وقالوا: إن الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وَقُدَرَهُم؛ بل أجبرهم عليها! فأولئك جفوا، وهؤلاء غلوا.

فهم على طرفي نقيض. وكلهم يسمون القدرية، لكن هؤلاء يسمون: القدرية النفاة، وهؤلاء يسمون: القدرية الغلاة المُجبرة.

لكن إطلاقها على القدرية النفاة أغلب، فإذا أُطلق لفظ القدرية فإنه ينصرف إلى القدرية النفاة، وإذا أريد القدرية الجبرية، فلا بد أن يُقييد؛ فيقال: القدرية المجبرة.

والخلاصة: أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بيّن أن هذه الدرجة من القدر، التي تتضمن الإرادة، والخَلق والإيجاد: جفا فيها قوم، وغلا فيها قوم.

وذلك أن القدرية طائفتان: طائفة النفاة؛ نفوا عموم الإرادة، وعموم الخلق والإيجاد، وأخرجوا أفعال العباد.

وطائفة غلوا؛ فقالوا: إن الله تعالى خالق العباد وخالق أفعالهم، وزادوا حتى قالوا: إن الله أجبرهم عليها، واضطرهم إليها؛ فالأفعال ليست لهم، وإنما هي أفعال الله، ولكن تُنسب إليهم على سبيل المجاز.

وهدى الله أهل السنة والجماعة، فتوّسطوا؛ فلم يقولوا بقول القدرية النفاة، بل قالوا: كل شيء مخلوق؛ فإنّ الله أراده، وقدَّره، وأوجده، بما في ذلك أفعال العباد.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ولم يقولوا بقول الجبرية؛ بل قالوا: إن الله خلق العباد وخلق أفعالهم وقُدرتهم، وجعل لهم قدرةً وإرادة، ولم يُجبرهم عليها، فهم الذين كسبوها وباشروها، وفعلوها باختيارهم، وإن كان الله خلقهم وخلق قدرتهم وإرادتهم.

وأيضاً نفوا حِكمها ومصالحها، وقالوا: ليس لله حكمة في تقديره، ولا مصالح، فإذا قدَّر على هذا الخير، أو قدّر المعصية، أَو قدَّر الكفر؛ فليس من وراء ذلك حكمة، ولا سِر، ولا مصالح في أفعاله وأحكامه، بل إن الله يفعل بالإرادة والمشيئة المحضة؛ من دون حِكمة! فهؤلاء أنكروا الحِكم والعِلل، والمصالح، والغرائز، والطبائع، والأسباب، وقالوا: إن المشيئة الإلهية تخبط خبط عشواء؛ فتفرِّق بين المتماثلات، وتجمع بين المختلفات، من دون حِكم ولا مصالح. وهذا من أبطل الباطل ـ والعياذ بالله ـ. بل هذا تنقص للرب ﷻ.

فالمقصود: أن الجبرية تنقصوا الرب ﷻ، وأنكروا أن يكون شيئاً من الأسباب سبباً لآخر، أو علّة له، بل الارتباط بينهما ارتباطٌ عادي. ومذهبهم أقبح من مذهب القدرية النفاة؛ لأن القدرية النفاة معظِّمون للشرائع، والأوامر، والنواهي، والرسل.

وأما مذهب الجبرية فإنه يؤدي إلى إبطال الشرائع، والكتب؛ لأنهم يقولون: العبد مجبور على أفعاله، فالزاني ـ مثلاً ـ مجبور على الزنا، والسارق مجبور على السرقة، ويعذرونه.

ويقول أحدهم: أنا إذا خالفت أمره الشرعي ـ يعني: الرب ـ فقد وافقتُ أمره الكوني القدري.

ويقول أحدهم معتدياً على الله: كيف يقدِّر عليَّ الشرَّ، ويقدّر عليَّ المعصية، ثم يقول: لا تفعل؟!

وهذا القولُ مُؤدَّاهُ: أن الشرائع عبث، والكتب عبث، والرسل عبث؛ لأن الإنسان مجبور على ما قُدِّر عليه، فلا فائدة في الشرائع، والكتب، والرسل!! ـ نعوذ بالله من هذا القول ـ. وهذا مذهبٌ خطير، وسيئ.

۞ (فَصْلٌ): وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ ﷻ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

الشَّرْحُ

هذا من أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قولُ القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، فاسم الدين واسم الإيمان، يشمل أربعة أمور:

الأمر الأول: قول القلب، وهو التصديق والإقرار.

الأمر الثاني: عَمَلُ القلب، كالنّية والإخلاص، والصدق والمحبة، ونحو ذلك.

الأمر الثالث: قول اللسان، وهو: النطق بالشهادتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، والذكر.

والأمر الرابع: عمل الجوارح، كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.

كل هذا يشمل اسم الإيمان، واسم الدين؛ يشمل: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح، هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا من أصولهم، خلافاً للمرجئة، الذين يقولون: الإيمان هو تصديق القلب فقط، وهذا منسوب إلى أبي حنيفة، أي القول بأن الإيمان هو التصديق فقط، والقائلون بهذا هم المرجئة المحضة، أمَّا مرجئة الفقهاء، وهم الأحناف؛ فيرون أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وأخرجوا العمل من

مسمَّىٰ الإيمان، فالأولون: أخرجوا قول اللسان، وعمل الجوارح، وعمل القلب من الإيمان، وقصروه على مجرد التصديق، والآخرون جعلوه تصديق القلب، وإقرار اللسان. وأول من قال بالإرجاء؛ حماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة. فالحاصل: عن أبي حنيفة في هذه المسألة روايتان:

الرواية الأولى: وهي التي عليها جمهور أصحابه: أن الإيمان؛ شيئان: تصديق القلب، والإقرار باللسان.

والرواية الثانية: عن الإمام أبي حنيفة؛ أن الإيمان شيء واحد؛ هو: تصديق القلب، وأما قول اللسان: فهو ركن زائد خارج عن مُسَمَّىٰ الإيمان، وهو مطلوب لكنه ليس من الإيمان، وهذا مذهب الماتريدية، أتباع أبي منصور الماتريدي، ومذهبهم: أن الإيمان تصديق القلب فقط، وأما عمل القلب وعمل الجوارح فكلاهما مطلوبٌ، لكنهما لا يُسميَّان إيماناً؛ فالإنسان عليه واجبان: واجب الإيمان، وواجب العمل. ولا يدخل أحدهما في مُسَمَّىٰ الآخر.

وأهل السنة يقولون: العمل من الإيمان، وهو جزءٌ منه؛ فالأعمال واجبة، وهي من الإيمان، سواء أكانت عمل القلب، أو عمل الجوارح؛ فهي واجبة، ومن الإيمان. ومرجئة الفقهاء يقولون: الأعمال واجبة وليست من الإيمان، ولهذا قال من قال: إن الخلاف بينهم وبين جمهور أهل السنة؛ خلاف لفظي، وبهذا قال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، والصواب أنه ليس لفظياً.

وهناك طائفة يسمون: المرجئة الغلاة، وهم الجهمية، ويسمون أيضاً: المرجئة المحضة، وهؤلاء يقولون: الأعمال ليست مطلوبة، وليست من الإيمان، ويكفي في الإيمان: معرفة القلب.

فإذا عرف الإنسان ربه بقلبه؛ فهو مؤمن، ولو فعل جميع نواقض الإسلام، وجميع الكبائر؛ فإنها لا تضِره، ولا يُنقض إيمانُه، ولا يكفُر إلا إذا جهل ربه بقلبه، وإذا عرف ربه بقلبه: آمَنَ، ولو فعل جميع المنكرات، ولو قتل الأنبياء، وهدم المساجد، وسب الله ورسوله، فإنه لا ينتقض إيمانه، ما دام عارفاً بربه، كما ذكر ذلك عنهم أهل العلم. وألزمهم العلماء بأن إبليس

يكون مؤمناً على هذا التعريف ـ أي: تعريف الجهم ـ؛ لأنه عرف ربه بقلبه، وقال: (ربي أنظرني). وفرعون مؤمن على هذا المذهب؛ لأنه مستيقن ويعرف ربه بقلبه، مع كونه أظهر الجهود، لكنه مستيقنٌ به في نفسه، فلم يكن جاهلاً بربه، فيلزم أن يكون مؤمناً!!

والذي فتح لهم هذا الباب؛ مرجئةُ الفقهاء؛ لما قال مرجئةُ الفقهاء: إن الأعمال ليست من الإيمان، ولو كانت مطلوبة وواجبةً؛ فدخل من هذا الباب المرجئةُ المحضة، وقالوا: إذا كانت ليست من الإيمان؛ فليست مطلوبة إذن.

فأهل السنة يقولون: الإيمان هو قول باللسان، وقول بالقلب، وعمل بالجوارح، وعمل بالقلب. ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل. ومن أقوالهم: الإيمان قول وعمل ونية. فالقول قسمان، والعمل قسمان.

ومن معتقد أهل السنة في الإيمان: أنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وأما المرجئة فيقولون: لا يزيد ولا ينقص، وهو شيء واحد، وهو التصديق: وإقرار القلب، والناس ـ على زعمهم ـ فيه سواء؛ قالوا: إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، كما قال الإمام الطحاوي: «والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان» ثم قال بعد ذلك: «والإيمان واحدٌ وأهله في أصله سواء». وهذا قول فاسد.

ومن عقيدة أهل السنة أنهم لا يُكفِّرُونَ أهل القبلة بمطلق المعاصي، والمراد بأهل القبلة: الذين دخلوا في الإسلام، ونطقوا بالشهادتين، واستقبلوا القبلة، وصلوا صلاتنا، وذبحوا ذبيحتنا، والتزموا بأحكام الإسلام الظاهرة.

فمعتقدُ أهل السنة: أنهم لا يكفرون أهل القبلة بالمعاصي ولو كانت كبائر، إلا إذا فعل ناقضة من نواقض الإسلام، فما دام أنه دخل في الإسلام، ونطق بالشهادتين، واستقبل القبلة، وصلى، والتزمَ في الظاهر؛ فلا يُكفر ولو فعل الكبيرة، ولو فعل الزنا، أو السرقة، أو شرب الخمر، أو أكل الربا، ما دام أنه لم يستحلها، فلا يكفر، ولكنه يكون عاصياً، ناقص الإيمان كما سيأتي. خلافاً للخوارج الذين يُكَفِّرون بالمعاصي والكبائر. والمعتزلة يخرجونه من الإيمان.

فالخوارج يُكَفِّرون أهل الكبائر؛ ويقولون: من زنى: كَفَرَ، ومن سرق: كَفَرَ، ومن أكل الربا: كَفَرَ، وفي الآخرة يُخلَّد في النار، والمعتزلة يقولون: إذا سرق أو زنى: خرج من الإيمان ولم يكفر، وهو في منزلة بين المنزلتين؛ لا هو مؤمن، ولا هو كافر، لكنه في الآخرة مُخلد في النار؛ فوافقوا الخوارج في الحكم عليه بالخلود في النار.

وأما أهل السنة ـ كما سيأتي ـ فلا يقولون بقول الخوارج، ولا بقول المعتزلة. فلا يقولون: خرج من الإيمان؛ بل يقولون: مؤمنٌ ناقص الإيمان، أو مؤمن ضعيف الإيمان، أو مؤمن فاسق بكبيرته، كما سيأتي، وكما سيبيّنه المؤلف عنهم، أنهم لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يقولون: مؤمن بالإطلاق، ولا يقولون: ليس بمؤمن بإطلاق، بل لا بد من التقييد في النفي والإثبات.

فعند أهل السنة: أن الفاسق ـ مرتكب الكبيرة ـ إذا قلت: ـ هو مؤمن؛ تكون مخطئاً، وإذا قلت: ليس بمؤمن؛ تكون مخطئاً. إذاً: متى تكون مُصيباً؟ تكون مصيباً: إذا قيَّدتَ في النفي أو الإثبات.

ففي الإثبات تقول: مؤمنٌ ناقص الإيمان، أو مؤمنٌ بإيمانه، فاسق بكبيرته.

وفي النفي تقول: ليس بصادق الإيمان، أو ليس بمؤمنٍ حقاً؛ أي: ليس معه الإيمان الكامل.

فلا بد من التَّقْييد في النفي والإثبات. أما الخوارج فيقولون: ليس بمؤمن مطلقاً، خلافاً للمعتزلة، وفي الآخرة يُخلدونه في النار، وأهل السنة يقولون: هو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذَّبه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ويقول أهل السنة: إذا دخل النار لا يُخلَّد، بل يُطَهَّر، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، خلافاً للمعتزلة الذين يوجبون على الله أن يخلّده في النار؛ لأنه توعده بذلك؛ فيجب على الله أن يُنْفِذَ وعيدَه، فلا يخرج منها أبد الآباد؛ كالكافر.

وفي آية القصاص الآتية، بيان للأخوة الإيمانية، وأنها ثابتة مع مطلق

المعاصي، فلا تُنفى الأخوة الإيمانية عن العاصي، كما أثبت الله تعالى أخوة القاتل للمقتول بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فالله تعالى: جعل القاتل أخاً للمقتول؛ وهذه أخوة إيمانية، ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]؛ وكذلك سَمَّاهم مؤمنين، وهم يقتتلون، ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] أي: المتقاتلين، فجعل لهم الأخوة فيما بينهم، وأثبتها لهم.

فالقاتل مؤمن ضعيف الإيمان، إلا أن يستحل القتل، فإذا استحله: كَفَرَ، لكن إذا قتله طاعة لهواهُ، أو طاعةً للشيطان، ويعلم أن القتل حرام، أو زنى طاعة لهواه، أو للشيطان، ويعلم أن الزنا حرام، ولم يستحله، أو شرب الخمر؛ لأنه غلبت عليه المعصية، ويعلم أن الخمر حرام؛ فجميع هؤلاء مؤمنون، ضعاف الإيمان.

۞ وَلا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الملي اسْمَ الإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ، بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.

الشَّرْحُ

وقوله: (ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية)؛ يعني: أن الفاسق الملي ـ المنتسب إلى الملة الإسلامية ـ إذا ارتكب الكبائر، فإن أهل السنة لا يسلبون عنه اسم الإيمان، فلا يقولون: إنه ليس بمؤمن؛ بل يُقيِّدون ويقولون: ليس بمؤمن حقاً؛ لا يسلبونه الإيمان، ولا يوافقون الخوارج ولا المعتزلة على مذاهبهم التي تقدَّم شرحها.

والفاسق ـ كما ذكر المؤلف ـ يدخل في اسم الإيمان المطلق، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] يدخل فيه: الفاسق والعاصي.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] يدخل فيه: الفاسق والعاصي أيضاً.

وكذلك يشملهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠].

ف(**الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق**)، يعني: العام، الشامل للفاسق والعدل، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ومثل قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾.

فإذا أعتق رقبة مؤمنة، ولو كانت فاسقة؛ صَحَّ. فهناك فرق ـ كما سيبين المؤلف ـ بين الاسم المطلق، ومطلق الاسم.

فالفاسق داخلٌ في الاسم العام، ولكنه لا يُطلق عليه اسم الإيمان بالإطلاق، فيقال له: مؤمن؛ أي: معه الإيمان الكامل، فلا يصح هذا الإطلاق في حقه. ولكنه يُعطى مطلق الاسم؛ يعني: مطلق الإيمان، أي: أصله. وسيأتي لهذا مزيدُ بيان.

۞ وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، وَقَوْلُهُ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ؛ فَلا يُعْطَى الاسْمَ الْمُطْلَقَ وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الشرح

قولُه: (وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]).

يعني: الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق العام، الذي يشمله ويشمل غيره، وقد لا يدخل في الاسم المطلق، الذي يُراد به الإيمان الكامل، كالموصوفين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

فالفاسق لا يدخل في هذا السياق؛ لأنه لم تحقق فيه هذه الصفات. ففرقٌ بين الاسم المطلق، ومطلق الاسم.

فمطلق الاسم: قد يدخل فيه الفاسق، يعني: في مسمى الإيمان وأصله، أما الاسم المطلق، وهو الكامل؛ فلا يدخل فيه.

ولهذا لا يُقال عن الزاني: إنه مؤمن هكذا بإطلاق، فهذا هو الاسم المطلق الكامل الذي نُفي عنه. فلا بُدَّ من التقييد، فلا تقل: ليس هو بمؤمن، ولا هو مؤمن. بل قل في النفي: ليس بصادق الإيمان، وتقول: مؤمن ناقص الإيمان.

فنفيُ الإيمان عنه في مثل قوله ﷺ: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**[1]؛ ليس نفياً لمطلق الإيمان، وأصله، بل المنفي: الإيمان المطلق؛ الذي يستلزم أداء الواجبات، وترك المحرمات، والزاني، فعل هذا المحرَّم؛ فلا يُعطى الاسم المطلق، لكن يدخل في الاسم العام.

والمراد هنا: أنه في هذه الحالة لا يُسمى مؤمناً بإطلاق؛ لكونه ارتكب الكبيرة، فضعف إيمانه؛ فلم يستحق مطلق الاسم الكامل، إلا بقيد كما سيأتي.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) (١٠٢)، الإيمان، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي (٨/ ٣١٢)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلا بُدَّ من التقييد إذاً، فيُقال عنه: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاصي، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. هذا في حال الإثبات.

وفي النفي يقولون: ليس بصادق الإيمان؛ ليس بمؤمن حقاً، هكذا أهل السنة يُقيِّدون في الإثبات، ويقيدون في النفي كما سبق. فمن قال: الفاسق مؤمنٌ، هكذا؛ باطلاقٍ، فقد غلط، ومن قال: ليس بمؤمن؛ وَأَطْلَقَ؛ فقد غلط!! إذاً فماذا يُقال؟ إن أطلقتُ الإيمانَ، قلتم: غَلطتَ، وإن نفيتُ قلتم: غَلطتَ!! نقول جواباً على ذلك: قيدْ في هذا، وفي هذا.

فقل في الإثبات: مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن ضعيف الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

وفي النفي: لا تقل ليس بمؤمن، وتسكت؛ بل قل: ليس بمؤمن حقاً، أو ليس بصادق الإيمان؛ لأن المؤمن الحق ـ صادق الإيمان ـ، هو الذي يؤدي الواجبات، مثل المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]. فالفاسق والعاصي، ليسا مشمولَيْن بهذه الآيات، ونحوها، وكذلك ما جاء في قوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»** المقصود هنا بنفي الإيمان عنه: نفي كمال الإيمان؛ الذي ينتفي عنه حال فعله ذلك المحرَّم، وكذلك القولُ فيمن سرق، أو شرب الخمر، أو فعل كبيرة من الكبائر. فالمؤمن الكامل الذي يتمثل الأوامر ويجتنب النواهي: لا يقع في مثل هذه الكبيرة، ولا غيرها.

فهذا بيانٌ وشرحٌ لمعنى قول المؤلف: «ويقولون: هو مؤمن ناقصُ الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته؛ فلا يُعطىٰ الاسم المطلق، ولا يُسلب مطلق الاسم».

۞ (فَصْلٌ): وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا

ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

الشَّرْح

قول المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: **(ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ)**.

يعني: من أصول أهل السنة، التي يعتقدونها، ويدينون بها ربهم: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول ﷺ. فقلوبهم سالمةٌ من الحقد والبغضاء، فلا يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يحقدون عليهم، وليس في قلوبهم غلٌّ، ولا ضَغِينة، وإنما في قلوبهم المحبة والموالاة لهم. وكذلك ألسنتهم سالمة من الطعن، والسب، والشتام. فأهل السّنة يترضون عنهم، خلافاً لأهل البدع.

فقلوب أهل السنة ـ كما قلنا ـ: سليمة، ليس فيها غل، ولا بغضاء، لأصحاب النبي ﷺ، بل فيها المحبة والموالاة، وكذلك ألسنتهم سالمة من القدح، والعيب، والسب، والشتم، والتكفير، والتفسيق لهم؛ خلافاً لأهل البدع، الذين يسبون الصحابة، ويكفرونهم، أو يفسقونهم، وفي قلوبهم غلٌّ وبغضاء لهم.

فهذا أصلٌ من أصول أهل السنة، وعقيدة من معتقداتهم التي يدينون بها ربهم.

وهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلى آخرها. فيها بيان لهذا الأمر، وأن الذين جاؤوا بعد الصحابة، يسألون المغفرة، لهم ولإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، وهم الصحابة، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم.

والغل هو: الحقد، والبغضاء.

لأنّ الغلّ والحقد عليهم، وسبّهم؛ سَبٌّ لصاحبهم؛ وهو رسول الله ﷺ، فمن سب الصحابة؛ فقد سب الرسولَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومن سب الرسولَ؛ فقد سب الله. فأهل السنة لا يسبون الصحابة، ولا يُكفرونهم، ولا يحقدون عليهم، ولا في قلوبهم غل ولا بغضاء عليهم، وإنما يُوالونهم، ويحبونهم، ويترضون عنهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، ولأنهم خير الناس، بل خير الناس بعد الأنبياء، ولأنهم الذين سبقونا بالإيمان، ولأنهم نقلوا لنا الشريعة، حتى وصلت إلينا سليمة، فهم حَمَلَةُ الشريعة، ونَقَلَةُ الدين، فسبهم سبٌّ لهذا الدين؛ لأنه إذا كان حَمَلَةُ الشريعة غير موثوقٍ بهم؛ فلا يوثق بهذا الدين!! فمن سبهم، أو تنقصهم، أو عابهم، فهو متنقص لدين الإسلام ـ نسأل الله العافية ـ.

۞ وَطَاعَةُ النَّبِيِّ فِي قَوْلِهِ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ: مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ. فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ـ وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ ـ وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَاتَلَ وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الله قال لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وَبِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانِ وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ـ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيّاً وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا؛ لَكِنْ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ ـ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ـ لَيْسَتْ مِنْ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّة لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا هِيَ «مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ».

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ويتولونهم وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». وَقَالَ أَيْضاً لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ ـ وَقَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ ـ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي**»، وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشاً وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ

أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ خُصُوصاً خَدِيجَةُ رضي الله عنها أُمُّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ، وَالصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: **«فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاء كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»**.

وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَمِنْ طَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مساويهم مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنْ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنْ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنْ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **«إِنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ»** **«وَإِنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَباً مِمَّنْ بَعْدَهُمْ»**، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ أُبْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كَفَّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُمْ أَجْرَانِ وَإِنْ أَخْطَئُوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ، ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ، نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَعَالَى.

الشَّرْحُ

من عقيدة وأصول أهل السنة والجماعة: طاعة النبي ﷺ في قوله: **(لا تسبوا أصحابي والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)**[1]، فامْتَثَلُوا أمره ﷺ؛ ولذلك فقلوبهم سليمة، وألسنتهم سليمة لأصحاب الرسول ﷺ. وكذلك امتثلوا قولَه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ...﴾ إلخ الآية.

ولا يُشكل هنا أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ما بلغ مُدّ...**» إلخ[2]، لخالد بن الوليد رضي الله عنه، لما حدث خلاف بينه وبين عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، وكان خالد قد سبَّ

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذي (٣٨٦١)، وأحمد في المسند (٣/ ٥٤)، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه مسلم (٢٥٤٠)، وابن ماجه (١٦١).

(٢) حديث صحيح تقدم فيما قبله.

عبدَ الرحمٰن بن عوف، وهو من السابقين الأولين، الذين أسلموا قبل الفتح أي: صلح الحديبية، وخالد بن الوليد ممن أسلم بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة، فعبد الرحمٰن بن عوف من السابقين الأولين، فلا يشكل هُنا: أن الحديثَ وَرَدَ على سببٍ خاص؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد. ويُقال أيضاً: إذا كان خالد بن الوليد، منهياً عن ذلك، فمن باب أولى وأحرى أن يكون من بعده ومَن دونه، منهياً عن ذلك.

فالحدُّ الفاصلُ بين السابقين الأولين وغيرهم: هو صلح الحديبية، فمن أسلم قبل صلح الحديبية، وقاتل وجاهد؛ فهو من السابقين الأولين، ومن أسلم بعد صلح الحديبية، فليس من السابقين الأولين، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

الفتح هو: صلح الحديبية، سمَّاهُ الله فتحاً؛ لما يعقبه من النصر.

فمعنى قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ﴾ أي: لا يستوي من أنفق قبل صلح الحديبية، ومن أنفق بعد صلح الحديبية.

فهؤلاء كما قال في الآية بعدها: ﴿أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

ومع ذلك فكلهم موعودون بالجنة، وهذا من الأدلة في الرد على أهل البدع، من الرافضة وغيرهم، الذين يسبونهم؛ مع أنَّ كلاً قد وعد الله الحسنى. فمن سبهم وتنقصهم أو عابهم وَكَفَّرهم، فقد كذَّب الله، في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾.

فالنبي ﷺ يقول لخالد بن الوليد: «**لا تسبوا أصحابي**»، يعني: المتقدمين في الصحبة، فكلهم أصحابه، ولكن أيها الصحابة المتأخرون، كخالد بن الوليد، لا تسبْ عبد الرحمن بن عوف؛ فإن بينكم تفاوتاً عظيماً؛ بحيث لو أن عبد الرحمٰن بن عوف ـ وهو من الأولين ـ لو أنفق في سبيل الله مُدّاً أي: بمقدار المد، وهو ملء كف الرجل، أو نصف المد، وأنفق خالد ومَنْ تأخر مثل أُحدٍ ذهباً؛ لَما وَصَلَ خالدٌ إلى ما وصل إليه عبدُ الرحمٰن بن عوف.

فإذا كان هذا التفاوت بين الصحابة أنفسهم؛ بين المتقدمين والمتأخرين، فكيف يكون التفاوت بين من يأتي بعد الصحابة، وبين الصحابة؟! لا شك أنه تفاوتٌ عظيم؛ يَدُلُّكَ على أنَّ لصحبةِ النبي ﷺ، والجهاد معه في سبيل الله، وسبقهم إلى الإسلام، منزلة ومزية عظيمة، ومرتبة عالية، لا يلحقها من بعدهم إلى يوم القيامة.

وكذلك: أهل السنة يتولون أزواج النبي ﷺ، جمعيهن؛ كالصديقة بنت الصديق عائشة الصدّيقة، بنت الصديق أبي بكر؛ يتولونها، ويترضون عنها، ويعتقدون فضلها، وقد قال فيها النبي ﷺ: **(فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)**[1]، وبعض العلماء قال: هذا يدل على أنها أفضل النساء.

والثريد: خبز فيه لحم. واستدل بهذا الحديث مَنْ فضَّلها على خديجة. والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم، وتفضيلُ واحدةٍ منهن على الأخرى، يحتاج إلى تأمل.

قول: (ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم...): يعني: من أصول أهل السنة ومعتقداتهم؛ التبرؤ من طريقة الروافض، الذين يسبون الصحابة، ويؤذونهم.

والروافض من: الرفض، ومذهب الرافضة هو إيذاء الصحابة، وتكفيرهم، وسبهم. فأهل السنة يتبرؤون من هذه الطريقة، ومن أهلها الرافضة.

وسُمّوا رافضةً؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين، لما سألوه عن أبي بكر وعمر، فترحَّم عليهما وقال: هما وزيرا جدِّي: رسول الله ﷺ. وجد

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٧٠، ٥٤١٩)، ومسلم (٢٤٤٦)، والترمذي (٣٨٨٧)، وابن ماجه (٣٢٨١)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٦٤)، كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١)، وغيرهم.

زيد بن علي هو: الرسول ﷺ، فلما أجابهم بهذا: رفضوه وتركوه، فقال: «رفضتموني رفضتموني»؛ فسُمّوا من ذلك الوقت: رافضة.

وقبل ذلك كانوا يُسمون بالخشبية؛ لأنهم قالوا: نتّخذُ سيوفاً من خشبٍ حتى يخرج القائم من آل محمد؛ يعني: مَهْديَّهم. فلا جهاد عندهم ولا قتال بالسيف، حتى يخرج المهدي من السرداب، الذي دخل فيه بسامراء في العراق سنة ٢٦٠هـ. ولم يخرج إلى الآن، ويزعمون أنه الثاني عشر من نسل الحسين بن علي، ويقولون: هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر، ويقولون: إنهم معصومون، وأنَّ الرسول نصَّ على أنهم الأئمة بعده. وأوَّلُهم: علي بن أبي طالب، ثم الثاني: الحسن بن علي، ثم الثالث: الحسين بن علي، ثم بقية التسعة كلهم من نسل الحسين؛ الرابع: علي بن الحسين زين العابدين، ثم الخامس: محمد بن علي أبو جعفر الباقر، ثم السادس: جعفر بن محمد الصادق، ثم السابع: موسى بن جعفر الكاظم، ثم الثامن: علي بن موسى الرضا، ثم التاسع: محمد بن علي الجواد، ثم العاشر: علي بن محمد الهادي، ثم الحادي عشر: الحسن بن علي العسكري، ثم الثاني عشر: المهدي المنتظر: محمد بن الحسن، الخلف الحُجّة، الذي دخل سرداب سامراء في العراق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: مضى عليه أربعمائة سنة ولم يخرج.

ونحن نقول: مضى عليه ألف ومئتا سنة ولم يخرج، ولن يخرج؛ لأن أباه الحسن مات عقيماً ولم يُولد له، وهذا معروف: أن أباه مات عقيماً ولم يولد له، فاتخذوا له ولداً فأدخلوه السرداب، وقالوا: دخل السرداب، وهو ابن سنتين أو ثلاث أو خمس، وسيخرج، وإذا خرج وجب الجهاد، أما الآن فالجهاد باطل؛ فلا قتال حتى يخرج المهدي، ويُنادي منادٍ من السماء فيتبعونه. والمقصود: أن الرافضة يَدَّعُون أن الرسول ﷺ نَصَّ على هؤلاء الأئمة الاثني عشر، ونص على أن الخليفة بعده؛ علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، وهكذا إلى آخرهم.

ومن عقيدة الروافض: أنَّ أهل السنة كَفَروا وارتدوا بعد وفاة

رسول الله ﷺ؛ لأنهم أخفوا النصوص، التي فيها النص على أن علياً هو الخليفة بعده، وولوا أبا بكر الخلافة زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم ولوا عُمَرَ الخلافةَ؛ زوراً وبهتاناً وظلماً، ثم عاد الحق إلى نصابه، لمَّا وصلتْ الخلافةُ إلى الخليفة الأول: علي بن أبي طالب، الذي اجتمع عليه الخلق كلهم! هكذا يقولون زوراً وكذباً، وإلّا فمن المعلوم أن عليّاً فيه خلاف، ولم يجتمع الخلق عليه، فقد كان معاوية واليَ الشام، وحصل بينه وبين عليٍّ قتال، فمن البهتان قولهم عن عليٍّ: اجتمع عليه الخلق كلهم، وقولهم: إن أبا بكرٍ لم يجتمع الناس عليه، ولم يبايعه إلا القليل، بل يدَّعون أنه اغتصب الخلافة، وكان عليٌّ - في نظرهم - أحقَّ بها؛ بنصِّ رسول الله! وهذا من بهتانهم؛ فإن أبا بكر أجمعت عليه الأمة، وكذلك عمر، وعثمان، أطبقت عليهم الأمة، والخلاف إنما هو في علي؛ إذْ لم يُبايعه كلُّ الناس، بل بايعه أكثر أهل العراق، وامتنع عنه أهل الشام، ومعاويةُ؛ مطالبةً بدم عثمان.

وأشار الشيخ إلى أنَّ من معتقد أهل السنة والجماعة ومن أصولهم: البراءة من طريقة الروافض والنواصب؛ فيتبرؤون من طريقة الروافض، الذين يسبون الصحابة ويؤذونهم، ويلعنونهم، ويكفرونهم ويفسقونهم.

ويتبرؤون من طريقة النواصب، وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة لأهل البيت، ويؤذون أهل البيت ويسبونهم. فأهل السنة برُآء من هؤلاء وهؤلاء. وهم يترضون عن الصحابة، ويحبونهم ويتولونهم، وينزلونهم منازلهم التي دلت عليها النصوص، بالعدل، والإنصاف، لا بالهوى والتعصب والاعتساف.

وكذلك يتولون أهل البيت، ويحبونهم ويترضون عنهم، ولكن لا يعبدونهم كما تفعل الرافضة؛ لأن العبادة حق الله، فأهل السنة يتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب.

وقوله: (ويمسكون عما شجر بينهم...) أي إن من: معتقد أهل السنة والجماعة؛ الإمساك عما شجر بين الصحابة، يعني: في الخلافات التي وقعت بينهم، كالخلاف الذي وقع بين عليٍّ ومعاوية، مذهبهم فيه: السكوتُ،

والإمساكُ عن التكلم أو الخوض في تلك الخلافات، وعدم نشرها، لا كما يفعل بعض الناس الذين تسمعون عنهم الآن كطارق السويدان، الذي انتشرت أشرطته التي فيها سب للصحابة، وذكْر الخلاف والنزاع الذي حصل بينهم؛ فَفِعْلُهُ هذا مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة.

فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بهذا الرجل، ولا أن يستمع لأشرطته؛ فإنه ليس من أهل الاختصاص، بل كلامه سيء في الصحابة، فلا ينبغي استماع أشرطته، بل ينبغي تركها وهجرها والرد عليها.

والآثارُ والأخبار المروية في مساوئ الصحابة، وذمهم وعيبهم، لها أحوال عند أهل السنة والجماعة وأقسام، كما يلي:

قسم كذبٌ؛ لا أساس له من الصحة.

وقسم له أصل، لكن زِيدَ فيه ونُقص، وغُيّر عن وجهه، أي: زاد فيه بعض الكذبة أخباراً، أو نقص فيه، أو غيَّره عن وجهه.

وقسم منه صحيح، وهذا الصحيح الذي حصل منهم، هم فيه بين أحد أمرين: إما مجتهد مصيب له أجرٌ، وإما مجتهد مخطئ له أجران؛ فهم بين الأجر والأجرين.

وذلك: أن من معتقد أهل السنة والجماعة، أنهم لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم من كبائر الذنوب وصغائرها، بل المعصوم هو النبي ﷺ؛ فهو معصوم عن الشرك، ومعصوم عن الكبائر، ومعصوم فيما يُبلّغه عن الله، فالله تعالى عصمه من الشرك، وعصمه من الكبائر، وعصمه فيما يبلّغه عنه من أمور الدين، أما الهفوات والزلات الصغيرة التي هي خلاف الأولى، فقد تقع منه.

كما قال الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]. ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩]. وقال عن موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وقال عن داود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٥].

لكن الصحابة ليسو كذلك؛ لا نعتقد أنهم معصومون من الكبائر والصغائر.

لكن إذا صدر من أحد الصحابة ذنب أو كبيرة؛ فإن أسباب المغفرة كثيرة، منها: أن يكون قد وُفِّق للتوبة؛ فينفي الله بهذه التوبة عنه الذنوب والمعاصي، أو تُغفر هذه المعصية التي صدرت منه؛ بالحسنات الكثيرة، ومن أعظم الحسنات: الصحبةُ للنبي ﷺ، وجهادهم مع النبي ﷺ، وقد تُغفر ببلية أو مصيبة أُصيب بها في أهله وماله، فَيُكَفِّر اللهُ بها عنه، وقد يُغفر له بشفاعة النبي ﷺ، وهم رضي الله عنهم أولى الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة.

وبهذا يتبين أن سب هؤلاء المبتدعة للصحابة؛ زيغ وضلال؛ لأن الصحابة ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ معصومون في الجملة عن الخطأ، وعن الضلالة، أما الواحد منهم، فليس بمعصومٍ؛ لا عن الكبيرة، ولا عن الصغيرة.

فهذه الآثار المروية عن الصحابة، تُحْمَلُ على هذه الأحوال الثلاثة.

وحملها على هذه الوجوه لا غبار عليه؛ لأنهم بين مجتهد مصيب، وبين مجتهد مخطئ.

والمجتهد له أجران؛ أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، أمَّا المخطئ منهم في اجتهاده؛ فله أجر الاجتهاد، لكن فاته أجرُ الصواب، مثاله: ما حصل بين الصحابة من القتال، والخلاف بين علي ومعاوية، فعليٌّ رضي الله عنه، ومن معه اجتهدوا، ورأوا أن علياً هو الخليفة الراشد، وأنه يجب على أهل الشام أن يخضعوا له، وأن يُبايعوه؛ لأنه بايعه أكثرُ أهل الحلّ العقد، فكان هو الخليفة الراشد، فلماذا يتخلف أهل الشام عن مبايعته؟!

فكان لا بُدَّ من إخضاعهم، ولم ير رضي الله عنه أنهم من المؤلفة قلوبهم؛ لأن الإسلام استقر وانتشر، ورأى معاويةُ وأهل الشام، أنهم أولياء لعثمان؛ لأنهم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بنو أمية؛ ولهم حق المطالبة بالدم، وأنه لا بد من أخذ الثأر للخليفة الشهيد المظلوم، وأنه لا بُدَّ أن يُنتصر له، ولا بُدَّ أن يُسلَّم إليهم القتلة، ثم يبايعون علياً بعد ذلك. هذا وجه الخلاف بينهم. لكن أكثر الصحابة انضموا إلى علي رضي الله عنه، ورأوا أنه هو الخليفة الراشد، وأنه يجب إخضاع المخالفين له وقتالهم؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]. ولذلك: فإن أهل الشام بغاة؛ تجب مقاتلتهم، بنصّ الآية السابقة: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وهو ما دلت عليه النصوص: أن أهل الشام بُغاة؛ لقول النبي ﷺ لعمار: «**تقتله الفئة الباغية**»(١)، وأن أولى الحق من الطائفتين، هو: عليٌّ ومن معه؛ لقول ﷺ: «**يقتلهم أَوْلىٰ الطائفتين بالحق**»(٢)؛ فقتلهم عليٌّ.

وأهل الشام لم يعلموا أنهم بغاة، ولكنهم مجتهدون؛ مخطئون؛ فلهم أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور؛ لأنهم لم يتعمدوه. لكن أشكل هذا على بعض الصحابة، ولم يتبين لهم مَنْ المصيب، عليّ أم معاوية؟ فاعتزلوا الفريقين، ومن هؤلاء: ابن عمر، وسلمة بن الأكوع، وأسامة بن زيد، وجماعة؛ اعتزلوا الفريقين، لأنهم لم يتبين لهم وجه الصواب، وخافوا من هذا القتال؛ وقالوا: إنه قتال بين المسلمين، وقد جاءت النصوص بوجوب الاعتزال في الفتنة، وعَملوا بالنصوص التي فيها: أنه في الفتنة؛ إذا كنتَ قائماً: فاقعد، وإذا كنتَ قاعداً؛ فاضطجع، واكسر سيفك في الفتنة، وما أشبه ذلك. فقعدوا عن مشاركةِ أيٍّ من الفريقيْن. وَكُلٌّ له اجتهاده ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥)، وأحمد في المسند (٣/ ٩، ٩٠ ـ ٩١)، وابن حبان في صحيحه (٧٠٧٩)، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري (٦١٦٣) بنحوه، ومسلم (١٠٦٤) بنحوه، وأحمد في المسند (٣/ ٦٥)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٤١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٥٥)، واللفظ له، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(ثم إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنب...): هذا في الذنوب المحققة، أي: الذنوب الواقعة حقيقية؛ أسبابُ مغفرتها كثيرة؛ إما بالتوبة منها، وإما بالحسنات، أو ببلية، أو بمصيبةٍ، أو لسابقتهم إلى الإسلام، وغيرها. فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي يجتهدون فيها.

فالشيء الذي يُنكر على بعض الصحابة، والذي يُؤخذ عليهم: لا قيمة له بجنب حسناتهم الكثيرة، العظيمة؛ كسبقهم إلى الإسلام، والهجرة من مكة إلى المدينة، وتبليغ الشريعة، والدعوة إلى الله، فَهُم نقلة الشريعة، وحملة الشريعة، وهذه الأحاديث الكثيرة إنما نقلها إلينا الصحابة، فأبو هريرة نقل خمسة آلاف حديث، وعائشة رضي الله عنها كذلك، وغيرهم. فهذه الحسنات العظيمة، تنغمر فيها هذه الهفوات التي تؤخذ عليهم، مثل: لو نزل في البحر قطرةٌ من بول، فهل تؤثر فيه وتغيّره؟ أين تذهب تلك القطرة؟ مغمورةٌ لا قيمة لها.

إذاً: فلا تؤخذ عليهم هذه الهفوات، بل تنغمر في حسناتهم الكثيرة.

فمن نظر في سيرتهم، وأعمالهم الصالحة، وجهادهم، وصبرهم، ومصابرتهم، وتبليغهم للدين، وحرصهم على الخير؛ عَلِمَ أنهم خير الناس، وأفضل الناس.

(وأنه لا كان ولا يكون)، أي: لا كان في الماضي مثلهم، ولا يكون بعدهم في المستقبل مثلهم، ولا يلحقهم مَنْ بعدهم إلى يوم القيامة، فهم أفضل أصحاب الأنبياء؛ فهم أفضل من أصحاب موسى وعيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وغيرهم، ولا يلحقهم من بعدهم إلى يوم القيامة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ.

فهم صفوة الصفوة من هذه الأمة، والأمم السابقة، وخُلاصة الخُلاصة ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ..

فكيف تأتي بعضُ الطوائف فيسبونهم ويكفّرونهم، ويفسّقونهم؟!، هذا لا يقولُه إلا خبيث القلب، ضعيف الدين ـ نسأل الله السلامة والعافية منهم ـ.

۞ وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ؛ كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشَّرْحُ

قال المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في العقيدة الواسطية: (ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يُجْرِي الله على أيديهم، من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات).

والأولياء: هم الصالحون، فالولي هو: المؤمن التقي، الذي أطاع الله ورسوله.

وَوَلِيُّ الله تعالى، هو الموافق لمحابه ومساخطه؛ يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله، ويُوالي في الله، ويُعادي في الله، كما قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

وهؤلاء الأولياء المتبعون للنبي ﷺ، المطيعون لله ولرسوله، قد يُجري اللهُ على بعض أيديهم كرامةً خارقة للعادة.

والكرامة: هي أمر خارق للعادة، يُجريه الله على يد ولي أو صالح، ببركة اتباعه للنبي ﷺ. وبين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: أن الكرامات نوعان:

النوع الأول: العِلم والكشف؛ فهي: كشوف وعلوم؛ بأن يَعْلَمَ ما لا يعلم غَيْرُهُ، أو يرى ما لا يراه غيره، أو يسمع ما لا يسمعه غيره؛ يقظةً، أو مناماً، أو إلهاماً.

النوع الثاني: القدرة والتأثير؛ بأن يحصل له أمر فيه تأثير.

مثال الأول: المتعلق بالعلم والكشف؛ كأنْ يسمع ما لا يسمعه غيره، أو يرى ما لا يراه غيره، مثل ما حصل لعمر بن الخطاب ﷺ، حينما كُشِفَ له عن جيشه، في نهاوند، وهو يخطب على المنبر، ويقول: «يا سارية الجبل»[(١)]، ألقى اللهُ الكلمةَ في أُذن القائد، في العراق، فلزم الجبل وسَلِم. فهذه من الكرامات، حيث كُشِفُ له عن جيشه وهو في المدينة. ومثال خرق العادة في العلم: ما رُوي أن أبا بكر ﷺ أطلعه الله على ما في بطن زوجته؛ وَعَلِمَ أنها أُنثى[(٢)].

ومثال الثاني: المتعلق بالقدرة والتأثير: ما حصل للعلاء بن الحضرمي[(٣)]: حينما عبر بجيشه نهر الفرات، ومثل ما حصل لخالد بن الوليد ﷺ لما حاصر حصناً من الحصون، وطلبوا منه أن يأكل السم[(٤)]، فأكل السم ولم يحصل له أي تأثير، كما في بعض الآثار. فهذا إن صح عنه، فهو من باب القدرة والتأثير.

---

(١) خبر صحيح: أخرجه الطبري في تاريخه (٤/ ١٧٨)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٥٣٧)، وأبو نعيم في الدلائل (٢/ ٧٤٠)، وحسن إسناده الحافظ في الإصابة (٣/ ٥٢، ٥٣)، ولمزيد من البحث راجع السلسلة الصحيحة (١١١٠)، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) انظر: الإصابة، لابن حجر (٤/ ٢٦١).

(٣) انظر: أخرجه ابن أبي الدنيا في (مجابو الدعوة) (٤٠، ٧٥، ٧٦، ٧٧)، والطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، والمعجم الأوسط (٤/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٣٥١٩)، والمعجم الكبير (١٨/ ٩٥ رقم ١٦٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨) والبيهقي في الدلائل (٦/ ٥١ ـ ٥٢، ٥٣، ٥٤) وابن الأثير في التاريخ (٢/ ٢٤٩)، واللالكائي في كرامات الأولياء (١٤٩ ـ ١٥١)، وانظر: صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٣٧)، والفرقان لابن تيمية (ص١٢٦)، وهذه الطرق لا تسلم من ضعف أو انقطاع.

(٤) أخرجه الطبراني (٣٨٨، ٣٨٠٩)، وقال الهيثمي بعد ما ذكر قصة خالد: رواه أبو يعلى، والطبراني بنحوه، وأحد رجالها رجال الصحيح وهو مرسل، ورجالهما ثقات؛ إلا أن أبا السفر وأبا بردة لم يسمعها من خالد. المجمع (٩/ ٣٥٠)، وإسناده ضعيف.

ومثاله أيضاً: ما حصل لأُسيد بن حضير، وعبَّاد بن بِشْر الصحابيين الجليلين حينما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد، حتى أتى أهله[١]، وما حدث لخبيب بن عدي لَمَّا كان أسيراً عند المشركين بمكة، وكان يؤتى إليه بعنب وليس بمكة عنبة[٢]. وما حدث أيضاً لأسيد بن حضير؛ فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر فسلَّم الرجل، فإذا ضبابة أو سحابة غشيته فذكره للنبي ﷺ فقال: «**اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن، أو تنزلت للقرآن**»[٣].

فالكرامة أمر خارق للعادة، يُجريها الله على يدي ولي، أو صالح؛ ببركة اتباعه النبي ﷺ، وإذا جرى هذا الخارق على يد نبي، فإنه يكون معجزة. وإن جرى على يدي صالح وولي من الأولياء، فهو كرامة، وهي تابعة لمعجزة الأنبياء، وإنما حصلت الكرامةُ ببركة اتباعه للنبي ﷺ.

وقد تجري الأمور الخارق للعادة على يد كافر، أو فاسق؛ فتكون حالة شيطانية، كما يحصل للسحرة من الخوارق، فالساحر قد يحصل له خارق للعادة، وهذا ليس كرامة، ولكنه حالة شيطانية، فقد يطير الساحر في الهواء، أو يغوص في البحار، أو يدخل النار، وإنما فعل هذا بسبب الأحوال الشيطانية. ومن هذا الجنس: ما يحصل على يد المسيح الدجال في آخر الزمان، من الخوارق، حيث يدعي الصلاح أولاً، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، ويأتي بخوارق أخبر بها النبي ﷺ، ومعه صورة الجنة والنار، ويقطع رجلاً نصفين فيقول له: قم، فيقوم ويستوي قائماً، فهذه من خوارق العادات التي يأتي بها المسيح الدجال، مع أنه كافر.

---

(١) خبر صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٥، ٣٦٣٩، ٣٨٠٥)، ثم ذكر الرجلين وقال: قال معمر عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه إن أسيد بن حضير رجلاً من الأنصار، وقال حماد أخبرنا ثابت عن أنس: كان أسيد بن حضير، وعباد بن بشر عند النبي ﷺ.

(٢) خبر صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

(٣) خبر صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٤)، ومسلم (٧٩٥)، عن البراء رضي الله عنه، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه مسلم (٧٩٦)، وذكر أنه أسيد بن حضير رضي الله عنه.

فالخوارق قد تجري على يديْ نبي، أو على يديْ ولي، وقد تجري على يديْ كافر أو فاسق.

فأهل السنة والجماعة يُصدِّقون بكرامات الأولياء، خلافاً للمعتزلة، الذين أنكروا كرامات الأولياء، وتبعهم في ذلك الرافضة، ولم يصدقوا بها، وأنكروا خوارق السحرة، وقالوا: لا تجري الخوارق إلا على أيدي الأنبياء.

وشبهتهم في ذلك أنهم يقولون: لو جرى الخارق على يَدِ ولي أو كافر، لالتبسَ ذلك بمعجزة الأنبياء، فلا يُعرف النبي من غيره؛ فلذلك أنكروا كرامات الأولياء، بل أنكروا خوارق السحرة.

ويُرَّد عليه بأمرين:

الأمر الأول: أن إنكاركم لكرامات الأولياء وخوارق السحرة، أمرٌ يُناقض المحسوس والمشاهد؛ لأن هذا أمر واقع يحسّ به الناس ويشاهدونه.

الأمر الثاني: أن زعمكم أن الخوارق التي يجريها الله ـ جل وعلا ـ على الأولياء تلتبس بالمعجزات؛ أمر باطل؛ لأن النبي يدعي النبوة، ويتحدى بهذه المعجزة، كما أمر الله نبيه أن يتحداهم بالقرآن.

والولي لا يدعي النبوة ولا يتحدى، ولو ادعى النبوة لم يكن ولياً، ولكان متنبئاً كذَّاباً.

وهناك أمرٌ أوضحُ من هذا أشار إليه شيخ الإسلام، وهو: أن معجزات الأنبياء لا يمكن أن تحصل لغيرهم من الخَلق، بخلاف خوارق السحرة؛ فإنها قد تحصل لبعض المخلوقات، فمثلاً: الساحر قد يطير في الهواء، وتشترك معه في ذلك الطيور، وتطير في الهواء، والساحر قد يغوص في البحار، وتشاركه الحيتان في ذلك. فلم الساحر يأت بشيء معجز للمخلوقات، بخلاف معجزات الأنبياء، فلا تأتي بمثلها المخلوقات.

فمعراج النبي ﷺ إلى السموات، لا يحصل لغيره، لا من الحيوانات، ولا من الطيور، ولا من غيرهم، والعصا لموسى، التي جعلها الله حيةً، وفلَقُ البحر له؛ هذا النوع خاص بالرسل، لا يحصل لغيرهم، لا لسحرة ولا لغيرهم، ومن ذلك: طوفان نوح عليه السلام، وهكذا.

ومعجزات الأنبياء يسميها العلماء: آيات الأنبياء، وهي خاصة بهم. فتبين بهذا: أن آيات الأنبياء لا تلتبس بخوارق السحرة، ولا بكرامات الأولياء؛ لأنها معجزة لا يمكن أن تحصل لأحد من الخلق.

فالمقصود: أن من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بكرامات الأولياء، والكرامة هي: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يدي صالح من الصالحين؛ لبركة اتباعه للنبي ﷺ. والكرامة، نوعان، كما شرحناهما سابقاً.

وكرامات الأولياء ليست خاصة بهذه الأمة، بل حصلت للأمم السابقة؛ مثل ما حصل لأصحاب الكهف، حيث أماتهم اللهُ ثلاثمائة وتسع سنين، وكانوا في هذه المُدَّة يُقلَّبون من جنب إلى جنب، كما قال ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨]. وبقوا هذه المدة، ولم تأكل الأرض أجسادهم.

ومثل ما حصل لمريم، حينما حملت بلا زوج، فهذا من الكرامات.

والكرامات حصلت في التابعين كثيراً، بخلاف الصحابة، فإنها قليلة، ولا يدل ذلك على فضلهم على الصحابة؛ لأن الصحابة كانوا مستغنين عن كثرتها بما عندهم من التثبيت والتأييد؛ لكون النبي ﷺ بينهم، ولذلك كثرت في التابعين تأييداً وتثبيتاً لهم.

والكرامة إن لم تحصل: فلا ينبغي للإنسان أن يتطلّع إليها، كما يحصل لبعض العُبَّاد؛ يتطلع إلى الكرامة، ويبقى منكسر القلب؛ لأنه لم يُرزق كرامةً من الكرامات. بل على المرء أن يعتني بالاستقامة على دين الله.

فإن كل الكرامة؛ أن يُوَفَّقَ الإنسانُ إلى الاستقامة على دين الله، أما كونه يحصل له خارق أو لا يحصل له خارق؛ فهذا لا يترتب عليه شيء. وهناك من العلماء ومن الصحابة مَنْ لَمْ يُجْرِ الله على يديه خارقاً من خوارق العادات، وهو أفضل ممن أُجريت على يديْه خوارق العادات.

ولهذا قال أبو إسحاق الجوزجاني: «كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متطلعة للكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة»[1].

والكرامات التي يجريها الله على يدي ولي من الأولياء؛ تكونُ لأسباب منها:

---

(١) العقيدة الطحاوية (١/ ٣٨٤).

١ ـ حاجته إليها، بأن يكون محتاجاً إلى المطر ـ مثلاً ـ ليسقي زَرْعَهُ، ويكون في شدة وكرب لعدم ذلك؛ فتأتيه سحابة فتمطر عليه.

٢ ـ وقد يكون من أسباب الكرامة: تقوية إيمانه، حتى يتقوى إيمانه.

٣ ـ وقد يكون سبب الكرامة إقامة الحجة له على خصمٍ.

فالمقصود: أن من أصول السنة التصديق بكرامات الأولياء، خلافاً لأهل البدع الذين ينكرونها، كالمعتزلة والرافضة، وغيرهما.

وأهل اللغة العربية، والعلماء المتقدمون؛ لا يفرقون بين المعجزة والكرامة، ويسمونها: الأمر الخارق للعادة.

أما العلماء المتأخرون ففرقوا بينهما، فقالوا: ما جرى على يد نبي يسمى معجزة، ولا يسمى كرامة، وما جرى على يد صالح من الصالحين يسمى كرامة، ولا يسمى معجزة.

وما جرى على يد كافر أو فاسق، يسمى حالة شيطانية، وأما السابقون من العلماء فلا يفرقون بينهما.

واصطلاح المتقدمين أصح؛ لأنه يوافق اللغة العربية.

وقد ذكرنا فيما سبق أمثلةً من الكرامات التي وقعت في الأُمم السابقة، كقصة أصحاب الكهف الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، حيث أكرمهم الله، ونجاهم، وثبتهم، وسلَّم لهم دينهم، ولم يفتنوا؛ لأنهم فروا بدينهم من قومهم الكُفّار.

وهم فتية من قبائل متعددة، اجتمعوا على طاعة الله، وتشاوروا فيما بينهم، واجتمعوا على غير موعد، وهؤلاء كانوا في زمن ملك ظالم، وأراد جماعةٌ يعبدون الأصنام؛ أن يفتنوهم عن دينهم؛ ففروا، فأووا إلى كهفٍ في جبلٍ؛ فأنامهم اللهُ هذه المدة الطويلة؛ ثلاثمائة وتسع سنوات، ثلاثمائة سنة بالنسبة للسنوات الشمسية، وثلاثمائة وتسع بالنسبة للسنوات القمرية. فهذه كرامةٌ لهم؛ نجاهم الله من قومهم، ولم يُفتنوا، وأبقاهم هذه المدة، يُقلَّبون.

قال بعض العلماء: كانوا يقلبون كل ستة أشهر، من جنب إلى جنب؛ حتى لا تأكل الأرض أجسادهم، ثم أحياهم الله.

وتقدَّم أيضاً: ذكر كراماتٍ وقعت للصدر الأول، مثل: قصة عَبَّاد بن بِشْر، وأُسيد بن حضير. ويُضاف إلى ما سبق: ما حصل لسفينة مولى النبي ﷺ، لَمَّا كان في البرِّية، وَأَسَرَّ إلى الأسد، وقال له: إنه صاحب رسول الله، فسخره الله له، وحمل عليه الحطب حتى أوصله إلى مقصده[١]، ورجع. وكذلك ما حصل لأبي مسلم الخولاني[٢]، لما جاء الأسود العنسي، وقال له: أتؤمن أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فقال: أتؤمن أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: أتؤمن أني رسول الله؟ قال: ما أسمع! فأحرقه بالنار، فصارت عليه برداً وسلاماً، كما صارت على إبراهيم. فهذه كرامة من الكرامات. والأمثلة على هذا كثيرة. والكرامة موجودة إلى يوم القيامة، وهي تقع على يد الصالحين.

۞ (فَصْلٌ): ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِناً وَظَاهِراً، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

---

(١) خبر صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/٦٠٦)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) الأثر رواه أبو نعيم في الحلية (٢/١٢٨)، وذكره ابن الجوزي بدون سند في صفة الصفوة، وأخرجه اللالكائي (١٣٨)، بسند ضعيف، وفيه (عبد الوهاب بن نجدة) لم يُذْكَرْ فيه جرْحٌ ولا تعديل. انظر: الجرح والتعديل (٦/٧٣).

وَبِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ؛ وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْماً لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ؛ «وَالْإِجْمَاعُ» هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ وَانْتَشَرَتْ الْأُمَّةُ.

(فَصْلٌ): ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ. وَيَرَوْنَ إقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَاراً كَانُوا أَوْ فُجَّاراً وَيُحَافِظُونَ عَلَى الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**»، وَقَوْلُهُ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ: كَمَثَلِ الْجَسَدِ إذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ وَيَدْعُونَ إلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**».

وَيَنْدُبُونَ إلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَك، وَتَعْفُوَ

عَمَّنْ ظَلَمَك؛ وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْإِحْسَانِ إلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ؛ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالْبَغْيِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَى الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا، وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ: فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّداً. لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةٌ ـ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ـ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»؛ صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنْ الشَّوْبِ: هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الشَّرْحُ

بيَّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار النبي ﷺ، باطناً وظاهراً، يعني: العمل بالآثار، والعمل بالسنة باطناً وظاهراً.

فطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه ﷺ، فيعملون ويجتهدون في التأسي به: في العقائد، وفي الأعمال، وفي الأخلاق.

وقد أخبر النبي ﷺ في حديث صحيح: «**أن اليهود افترقت على ثلاث وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»[1]، قيل: وما هي؟ قال: هي الجماعة، وفي نص قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان**

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٤٧، ٦٧٣١)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١٠٨٣)، والسلسلة الصحيحة (٢٠٣).

على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»، ولما أخبر النبي ﷺ بهذا الحديث، صار أهلُ السنة والجماعة علماً على من تمسك بالكتاب والسنة، ولم يَتَلَبَّسْ بشيء من البدع في العقائد والأعمال، وإلا قبل ذلك؛ قبل أن تكثر البدع؛ كانت الأمة المحمدية كلها على الحق، وغالبهم على الحق، ولم يتميز أحدهم عن أحد، بعقيدةٍ، أو عمل، يخالف طريقة الرسول، بل كانوا جميعاً متبعين للنبي ﷺ، فلما كثرت البدع، صارت هناك فرقة متميزة، تُسمى أهل السنة والجماعة، وهي المتمسكة بالسنة التي لم يشبها شيء من البدع والافتراق.

فهذه الطائفة هم الذين صاروا متمسكين بالإسلام، الخالص، المحض، الخالي من الشوائب، الذي: لا تشوبه بدعة، ولا حدث في الدين.

وهذه الطوائف الذين خالفوا أهل السنة والجماعة، هم في عداد المسلمين، لكنهم أهل بدع، وقد تفرقوا، وصارت لهم أسماء أخرى كثيرة، لكنهم لا يخرجون عن الإسلام، إلا إذا كانت بدعتهم مكفّرة، فهؤلاء الفرق لا يُطلق عليهم أهل السنة والجماعة، لأنهم لم يلزموا الكتاب ولا السنة، بل خالفوهما، فصاروا أهل أهواء وبدع.

ومن لزم الكتاب والسنة وتمسك بهما ولم يشبهما بشائبةٍ، ولزم الحق المحض الذي لم تشبه بدعة، ولا حدث: تسمَّى بأهل السنة والجماعة.

ومن دخل في الإسلام، ولكن عنده بدع، وعنده أمورٌ أحدثها؛ يُطلق عليه الاسم العام، ولا يُسمى (أهل السنة والجماعة)؛ لأن هذه الفرق المتعددة متوعدة بالنار، كما ورد في حديث الافتراق، لكنها ليست خارجة من أهل الإسلام.

ولهذا قال العلماء: إن القدرية الأولى والجهمية؛ خرجوا من عِداد المسلمين، وخرجوا من عداد الثنتين والسبعين فرقة. فدل على أن الثنتيْن والسبعين فرقة، لم يخرجوا من دائرة الإسلام، بل هم مبتدعة. وخرج منهم أهل السنة والجماعة الذين تمسكوا بالإسلام الخالص، الذي لم يشبه شيء من البدع والمحدثات.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

۞ وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى؛ وَمَصَابِيحُ الدُّجَى؛ أُولُوا الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.

وَفِيهِمْ الْأَبْدَالُ: الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ: «**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**».

الشَّرْحُ

قوله: (وفيهم الصِّدِّيقون والشهداء والصالحون) أي: في هذه الأمة من أهل السنة والجماعة صِدِّيقُون؛ جمع صِدِّيق، وهي صيغة مبالغة. والصِّدِّيق هو: الذي قوي إيمانه، وصدَّقت أقواله أعماله، وصدقت أعماله إيمانه.

وسمي صِدِّيقاً؛ لأن أعماله تصدّق إيمانه، فهو صادق في قوله، لا يقول إلا الصدق، وصادقٌ في فعله، فلا يخالف فعلُه قوله. وهم يلون الأنبياءَ في المرتبة، وأفضلهم: الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ثم يليهم في المرتبة: الشهداء؛ جمع شهيد، وهم الذين قاتلوا في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، وقُتِلوا في المعركة؛ لإعلاء كلمة الله، وبذلوا أجسامهم وأرواحهم ـ وهي أغلى ما يملكون ـ بذلوهما رخيصة لله؛ لأن الله عندهم أغلى عليهم من نفوسهم، وهو سبحانه وتعالى المحبوب الأعظم لهم.

ثم يليهم: الصالحون، وهم: المؤمنون الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، وعملوا الأعمال الصالحة؛ من أداء الواجبات، وترك المحرمات.

فأهل السنة والجماعة فيهم الصديقون، وفيهم الشهداء، والصالحون، وهم أهل الصراط المستقيم، وهم المنعم عليهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

فالمنعم عليهم بالصراط المستقيم، أربع مراتب.

وقوله: (ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى) يعني: أنَّهم هُمْ العلماء الربانيون، الذين يُقتدى بهم في الخير، ويبينون للناس الطريق الحق؛ بما آتاهم الله من العلم والعمل، فهم يُعلِّمون الناس وَيُرَبُّونَهم، بصغار العلم قبل كباره، وينشرون علمهم، ويُبينون للناس دينهم، ويحبون لهم الخير، ويُقتدى بهم في الخير؛ فهم كما قال المؤلف: مصابيح الدجى، وأئمة الهدى.

وقوله: (أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة....): يعني بالمناقب: المحاسن المأثورة، والفضائل المذكورة المشهورة.

وقوله: (وفيهم الأبدال) أي: العلماء الذين يخلف بعضهم بعضاً، ويأتي أحدهم بدل الآخر، والعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل، فإن الأنبياء في بني إسرائيل كثيرون، كلما هلك نبي خَلَفَهُ نَبِيٌّ، والأنبياء خُتموا بنبينا محمد ﷺ، فَلَمَّا لم يكن فيهم أنبياء، جعل الله العلماء ورثة الأنبياء، وهم يخلفون النبي ﷺ في هذا الميراث، ويعلمون الناس، فهم بمثابة الأنبياء في بني إسرائيل.

وقوله: (الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، ودرايتهم) يعني: كالأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعد، وغيرهم من أهل العلم، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إمام الدعوة، وغيرهم من السابقين واللاحقين.

وقوله: (وهم الطائفة المنصورة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ولا من خالفهم، حتى تقوم الساعة)[1].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم (١٩٢٠)، والترمذي (٢٢٣٠)، وابن ماجه (١٠)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٧٨، ٢٧٩)، كلهم عن ثوبان رضي الله عنه، وفي الباب عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أخرجه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١)، وعن معاوية أخرجه البخاري (٣٤٦١)، ومسلم (١٠٣٧)، وعن =

يعني: أن هؤلاء هم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق، وهم الطائفة المنصورة، ومن قال: إنهم طائفتان وفرَّق بين أهل السنة والطائفة المنصورة، فقد أخطأ.

وفيهم العلماء، وفيهم الأبدال كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي مقدمتهم العلماء، وفيهم مِنْ غير العلماء من أهل السنة والجماعة، من الطائفة المنصورة، من قد يكون مزارعاً، أو تاجراً، أو نجاراً، أو حداداً، أو غيرها من المهن. فكل من لزم الحق من الكتاب والسنة، فهو من أهل السنة والجماعة، لكن في مقدمتهم العلماء؛ إذْ هم أولى الناس تحققاً بهذا الوصف. فأهل الحديث، هم الطائفة المنصورة، وهم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق.

۞ فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

الشَّرْحُ

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم...)**: هذا من نصحه رَحِمَهُ اللَّهُ أن سأل الدعاء، وتوسل إلى الله باسمه العظيم. فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، أي: من الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية. وأن يجمعنا بهم، مع الصحابة والتابعين، ونبينا ﷺ، وسائر الأنبياء في دار كرامته.

وقوله: (ونسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا) أي: لا يميلها عن الحق، وهذا من الدعاء، العظيم المشروع الذي ينبغي للمسلم أن يدعو به، كما ذكر الله تعالى عن الراسخين في العلم: أنهم يقولون في دعائهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

= جابر بن عبد الله، عند مسلم (١٩٢٣)، وعن جابر بن سمرة عند مسلم (١٧٤)، رضي الله عنهم جميعاً.

فنسأل الله أن يجعلنا من هذه الطائفة، ونسأل الله ﷻ أن يَتَوَفَّنَا على الإسلام، غير مغيرين ولا مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وقوله: (وصلى الله على محمد)، تقدم أن أصح ما قيل فيها: أن هذا ثناء عليه في الملأ الأعلى، كما رواه البخاري عن أبي العالية: أنَّ صلاة الله على عبده؛ ثناءه عليه في الملأ الأعلى. وأمَّا السّلام، فهو: أن تسأل الله له السلامة والعافية، من شرور الدنيا والآخرة.

وهذا الدعاءُ استدل به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، على أن النبي لا يستحق العبادة؛ لأنه يُسأل له السلامة، فهو يُدعى له ولا يُدعى. فكونك تسأل الله السلامة لهم، فهذا يدل على إبطال دعاء الأنبياء وعبادتهم.

فالنبي يُدعى له، والرب لا يُدعى له؛ لأنه ليس فوقه أحد، بل هو السلام، ومنه السلام ﷻ.

فأنت تسأل الله أن يُثني على نبيه، وهذا دليل على أنه نبيٌّ كريم، يطاع، ويُحب، ولكن لا يُعبد؛ لأنه يُسأل له السلامة، ويُسألُ الربُّ له الثناء، والعبادة حَقُّ الله.

وقوله: (وآله) تقدَّم بيانُ معناه، وأنه يشمل أتباعه على دينه، من الصحابة، ومن بعدهم إلى يوم القيامة.

وفق الله الجميع لطاعته، ونسأل الله ﷻ أن يغفر لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وأن يجازيه خيراً على هذه الرسالة العظيمة، المختصرة، التي كتبها في معتقد أهل السنة والجماعة، وقد نفع الله بها في القديم والحديث. وكلها دُرر تستحق أن تُكتب بماء الذهب، وليس فيها شيء من الحشو، وكلها توافق معتقدَ أهل السنة والجماعة.

فجدير بطالب العلم أن يعتني بها، وأن يحفظها، وينشرها، ويُبيِّنها للناس؛ حتى ينتشر معتقد أهل السنة والجماعة، وحتى تُعرف البدع، وتُحذر، وتُجتنب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

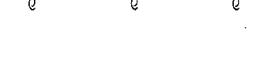

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس العام

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي	٥
السبب الباعث على تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية للعقيدة الواسطية	٧ ـ ٨
الإشارة إلى سعة علم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابته هذه العقيدة الجامعة في قعدة واحدة بعد صلاة العصر	٨
معنى الحمد والفرق بينه وبين المدح	٨
شرح معنى اسمه تعالى (الله) وما قيل في أنه اسمه الأعظم	٨ ـ ٩
معنى قول المصنف: ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾، وتعريف (الرسول) و(النبي) وتحرير الفرق بينهما	٩
توضيح المراد بلفظ (الرسول) هنا وما أُرسل به	٩
معنى قول المصنف: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	٩
شرح وافٍ لمعنى للأصل الأول وهو (شهادة ألا إله إلا الله) ومعنى الإقرار بتوحيد الله والأدلة على ذلك	١٠
الإشارة إلى غلط وضلال أهل الكلام في تفسيرهم لكلمة الشهادة	١١
تقرير لمعنى الشهادتين وما يقتضيانها	١١ ـ ١٢
بيان معنى الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وصحبه وفوائد متعلقة بهذه المباحث	١٢ ـ ١٣
معنى لفظ (أما بعد) وشرح فوائد متعلقة بها	١٣
المراد بكلمة (اعتقاد) لغة واصطلاحاً	١٤
تعريف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة وسبب تسميتهما بذلك	١٤ ـ ١٥
قف على فائدة تتعلق بشرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة	١٥ ـ ١٦
عودةٌ إلى بيان شيء من فضائل الفرقة الناجية ومن يدخلون في هذه التسمية	١٦ ـ ١٧
الإشارة المجملة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة وأصول الإيمان الستة	١٧ ـ ١٨

الموضوع | رقم الصفحة

معنى الإيمان بالملائكة والرد على الفلاسفة في اعتقادهم الباطل في الملائكة وهو **الأصل الثاني** ١٩
تسمية بعض الملائكة وأعمالهم الموكلين بها ..... ١٩ ـ ٢٠
الأصل الثالث: الإيمان بالكتب ومعنى الإيمان بها ..... ٢٠ ـ ٢١
الأصل الرابع: الإيمان بالرسل ومعنى الإيمان المجمل والمفصل بهم والأدلة على ذلك ٢١
الرد على الفلاسفة واعتقادهم الباطل في الرسل ..... ٢١ ـ ٢٢
الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر وما يتضمنه ٢٢
معنى الإيمان بالبعث وحكم منكره ..... ٢٢ ـ ٢٣
حكم الفلاسفة المنكرين للبعث ٢٣
الإيمان بسؤال القبر وعذابه ونعيمه ..... ٢٣ ـ ٢٤
مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر: الشفاعة والحساب والجزاء ووزن الأعمال والحوض والصراط والجنة والنار ..... ٢٣ ـ ٢٤
الأصل السادس: الإيمان بالقدر خير وشره ٢٤
تعريف القدر لغة وشرعاً ٢٤
بيان مراتب القدر إجمالاً ٢٤
المرتبة الأولى: الإيمان بالعلم والمراد منه وأدلته ..... ٢٤ ـ ٢٥
المرتبة الثانية: الإيمان بالكتابة والمراد منها وأدلتها ..... ٢٥ ـ ٢٦
حكم من أنكر هاتين المرتبتين ٢٦
المرتبة الثالثة: الإيمان بإرادة الله الشاملة والمراد منها والأدلة عليها ٢٦
المرتبة الرابعة: الإيمان بخلق الله لجميع الأشياء وأدلة ذلك ٢٧
الإشارة إلى مذهب القدرية المنكرين للمرتبتين الأخيرتين وشبهتم والرد عليها ٢٧
التفصيل في حكم منكري القدر ومن يدخل منهم في الثنتين والسبعين فرقة ومن لا يدخل فيها ٢٧
شرح معنى الإيمان بما وصف الله به نفسه وما يدخل في هذا الباب ٢٨

الموضوع | رقم الصفحة

الإيمان بتفرد الله بعلم الغيب والأدلة على ذلك ٢٨
فوائد: هل أسماء الله مشتقة أم جامدة ٢٩
منهج أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات والأدلة على ذلك ٢٩
بيان الطوائف الضالة في هذا الباب وهم المعطلة والمشبهة ..... ٢٩ ـ ٣١
عقيدة أهل السنة ومنهج الفرقة الناجية في الإثبات والنفي ٣٢
إثبات أهل السنة لمعنى الاستواء والرد على شُبه من نفاه من فرق الضلال ٣٢
بيان المراد بلفظ (الحدّ) و(الحيّز) نفياً وإثباتاً ٣٣
معنى الإلحاد لغة واصطلاحاً ٣٣
معنى أن الفرقة الناجية لا يلحدون في أسماء الله وآياته ٣٣
معنى التكييف والتمثيل ومنهج أهل السنة في هذا الباب ٣٤
معنى إيمان أهل السنة بأن الله (لا ندّ له) و(لا كفء له) و(لا سميّ له) ٣٤
معنى قول المصنف: (ولا يقاس بخلقه) وما هو القياس المنفي في حق الله تعالى ٣٥
تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ وعلاقة هاتين الآيتين بإثبات الصفات ونفيها ٣٦
حكم القول على الله بلا علم ووجه كون الشرك بالله داخلاً في هذا المعنى ٣٦ ـ ٣٧
معنى التسبيح وما المراد بتسبيح الله لنفسه وحمده لها ..... ٣٧ ـ ٣٨
أنواع النفي الوارد في الكتاب والسنة والمراد منه والأمثلة عليه ..... ٣٨ ـ ٣٩
منهج أهل السنة والجماعة في باب النفي والإثبات ومنهج المخالفين لهم من أهل البدع ..... ٣٩ ـ ٤٠
من أمثلة النفي المجمل والإثبات المفصل في سورة الإخلاص ..... ٤١ ـ ٤٢
سبب تسمية سورة الإخلاص بذلك وشرحٌ مجمل لها ..... ٤٢ ـ ٤٤
سياق آيات قرآنية في الإثبات المفصل والنفي المجمل ..... ٤٤ ـ ٥٠
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ من الإثبات والنفي ٥١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ من الإثبات المفصل ٥١

الموضوع | رقم الصفحة

بيان ما في قوله تعالى: ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ من الإثبات المفصل ٥١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ الآية من الإثبات المفصل ٥٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ من إثبات تفرد الله تعالى بعلم الغيب ٥٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ من إثبات علم الله الشامل لكل شيء ٥٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ من الإثبات المفصل ٥٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ من الإثبات المفصل ٥٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ من الإثبات المفصل والنفي المجمل ٥٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ من الإثبات المفصل ٥٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ من الإثبات المفصل ٥٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ من إثبات المشيئة لله ٥٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الإثبات المفصل ٥٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ من إثبات صفة الإرادة لله تعالى ٥٣
فائدة في أنواع الإرادة وانقسامها إلى كونية وقدرية والفرق بينها وبين الإرادة الدينية الشرعية ..... ٥٣ ـ ٥٤
ذكْر الطوائف التي ضلت لعدم تفريقها بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية ..... ٥٤ ـ ٥٥
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ من إثبات صفة المحبة لله تعالى ٥٥

الموضوع | رقم الصفحة

بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ من إثبات صفة المحبة لله تعالى ٥٥
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ من إثبات صفة المحبة لله ﷻ ... ٥٥
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من إثبات صفة المحبة لله ﷻ وذكر فوائد فقهية متعلقة بالآية ٥٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ من إثبات صفة المحبة لله ﷻ والتنبيه على ضلال الجهمية في نفيهم المحبة عن الله ٥٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ من إثبات صفة المحبة لله ﷻ وما في الآية من فضل الجهاد ٥٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ من إثبات صفة المحبة لله ﷻ والإشارة إلى فوائد متعلقة بالآية ٥٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ من إثبات صفة الرضا لله ﷻ ٥٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من الإثبات المفصل ٥٧
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ من إثبات صفة الرحمة لله ﷻ ٥٧
بيان ما في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ وقوله الرسول ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض» من الإثبات المفصل ٥٧
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ من الإثبات المفصل ٥٧
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ من إثبات صفة الرحمة لله ﷻ ... ٥٧
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ من إثبات صفة الغضب لله تعالى والرد على الأشاعرة إنكارهم لهذه الصفة ..... ٥٧ ـ ٥٨
بيان ما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ من إثبات صفة السخط لله ﷻ ٥٨

الموضوع | رقم الصفحة

بيان ما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ من إثبات صفة الأسف لله ﷻ ٥٨
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ من إثبات صفة الكره لله ﷻ ٥٨
بيان ما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من إثبات صفة المقت لله ﷻ ٥٨
بيان ما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ من إثبات صفة الإتيان لله ﷻ وذكْر آيات في هذا المعنى ٥٨
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ من إثبات صفة الوجه لله تعالى ..... ٥٨ ـ ٥٩
بيان ما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ من إثبات صفة اليد لله ﷻ ٥٩
تنبيه مهم إلى أن قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ليس من آيات الصفات .. ٥٩
التنبيه إلى المعنى المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ٥٩
الاستدلال بقوله ﷺ: «إن الله ليس بأعور» على إثبات العينين لله تعالى ٥٩
سبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ وما فيها من الإثبات المفصل ..... ٦٠ ـ ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ إلى قوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ وما فيها من الإثبات المفصل ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ من إثبات صفة السمع لله ﷻ ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ من الإثبات المفصل ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ من إثبات صفة الرؤية لله ﷻ ... ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ من الإثبات المفصل ٦١
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ من إثبات صفة المكر لله تعالى وشروط إطلاق هذه الصفة ونحوها كالكيد والخداع على الله ﷻ ..... ٦١ ـ ٦٢

الموضوع | رقم الصفحة

بيان ما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ من الإثبات المفصل ٦٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ من الإثبات المفصل ٦٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ من إثبات صفة العزة لله ﷻ ٦٢
بيان ما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ من الإثبات المفصل وحكم إطلاق لفظ (تبارك) على غير الله ..... ٦٢ ـ ٦٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ من النفي المستلزم لكمال ضده ٦٣
بيان ما تضمنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ من النفي المجمل المستلزم لكمال ضده ٦٣
معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٣
معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ ٦٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ وما فيها من الإثبات والنفي ٦٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الإثبات المفصل ٦٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ من الإثبات المفصل ٦٣
بيان ما في قوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من النفي والإثبات ٦٤
بيان ما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ من إثبات علم الغيب لله ﷻ وتنزيهه ٦٤
بيان ما في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من إثبات صفة العلم لله ﷻ ٦٤

الموضوع | رقم الصفحة

بيان ما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ من إثبات استواء الله على عرشه وما المراد بالاستواء ..... ٦٤ ـ ٦٥
سياق أدلة قرآنية في إثبات علو الله على خلقه ٦٥
وجه الاستدلال بقوله الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ على تقرير العلو والرد على تحريف الجهمية لمعنى هذه الآية ٦٥
بيان ما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾من تقرير علو الله ﷻ على خلقه والرد على من أنكره وسياق أدلة أخرى في هذا المعنى ٦٥
سياق آيات في إثبات استواء الله على العرش وتقرير الاستدلال بها على علو الله تعالى ..... ٥٦ ـ ٦٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ من إثبات صفة المعية وبيان أنواعها وسياق الأدلة على ذلك ٦٦
بيان ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ على إثبات صفة الكلام الإلهي وأنه ينادي ويناجي وأن القرآن كلامه وسياق أدلة على ما سبق ..... ٦٦ ـ ٦٨
الأدلة على ثبوت رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة والرد على منكريها ..... ٦٨ ـ ٦٩
أحوال بيان السنة للقرآن ..... ٧٠ ـ ٧١
إثبات صفة النزول الإلهي ومنهج السلف فيه ..... ٧١ ـ ٧٢
إثبات صفة الفرح لله تعالى ومنهج السلف فيه وذكر فوائد مهمة تتعلق بالأحاديث الواردة في هذا الباب ٧٢
إثبات صفة الضحك لله تعالى ومنهج السلف فيه وذكر فوائد مهمة تتعلق بهذا الباب ..... ٧٢ ـ ٧٣
إثبات صفة العجب لله تعالى ومنهج السلف فيه وذكر فوائد مهمة تتعلق بهذا الباب ٧٣
إثبات صفة القَدَم لله تعالى ومنهج السلف فيه وذكر فوائد مهمة تتعلق بهذا الباب ٧٤
الأدلة من السنة على إثبات الكلام الإلهي وأن الله تعالى ينادي ويناجي ويكلم عباده بلا ترجمان والرد على الأشاعرة وبيان فساد مذهبهم في الكلام الإلهي ..... ٧٤ ـ ٧٦

الموضوع | رقم الصفحة

الإشارة إلى ما في حديث رقية المريض من إثبات العلو والرد على من أنكره وذكْر فوائد تتعلق بالحديث ..... ٧٦ ـ ٧٧
الإشارة إلى ما في حديث: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**» من إثبات العلو والرد على الجهمية منكري العلو الإلهي ..... ٧٧ ـ ٧٨
الإشارة إلى ما في حديث: «**والعرش فوق الماء والله فوق العرش**» من إثبات العلو لله تعالى ٧٨
دلالة حديث الجارية على علو الله تعالى وجواز السؤال عنه بأين والرد على من منع السؤال عنه بذلك ..... ٧٨ ـ ٨٠
دلالة حديث: «**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**» على إثبات معية الله تعالى لخلقه وأن ذلك لا ينافي علوه ٨٠
دلالة حديث: «**فإن الله قِبَلَ وجه المصلّي**» على علو الله تعالى وذكْر فوائد متعلقة بالحديث ..... ٨٠ ـ ٨١
بيان ما في حديث: «**أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء**» الحديث، من الصفات الثبوتية وتفسيرها ..... ٨١ ـ ٨٢
بيان ما في حديث: «**فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً**» من الصفات وذكْر فوائد متعلقة بهذا الحديث ..... ٨٢ ـ ٨٣
دلالة حديث: «**إنكم سترون ربكم**» على رؤية المؤمنين لربهم وذكْر فوائد متعلقة بهذا الحديث ٨٤
بيان المنهج الوسطي لأهل السنة والجماعة في كافة أبواب الدين ..... ٨٥ ـ ٨٦
وسطية أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة وبيان الطوائف الضالة في هذا الباب ٨٦
وسطية أهل السنة والجماعة في باب صفات الله تعالى والرد على المشبهة والمعطلة ..... ٨٦ ـ ٨٧
وسطية أهل السنة في باب أفعال الله تعالى والرد على الجبرية والقدرية ٧٨
ضلال الخوارج والمرجئة والمعتزلة في باب الوعيد ووسطية أهل السنة بين هذه الفِرق ..... ٨٧ ـ ٨٨

الموضوع | رقم الصفحة

ضلال الرافضة والخوارج والنواصب في انتقاصهم لأصحاب رسول الله ووسطية أهل السنة بين هذه الفِرق ٨٨
إثبات معية الله تعالى للخلق وبيان أنها لا تنافي علوّه عليهم ..... ٨٩ ـ ٩٠
قربه تعالى من عباده لا ينافي علوَّه عليهم ٩٠
سياق الأدلة النقلية والعقلية على أن علوّه تعالى لا ينافي معيّته لخلقه ..... ٩٠ ـ ٩١
عودةٌ إلى تقرير أن قُرب الله تعالى لا ينافي علوّه على خلقه ..... ٩١ ـ ٩٢
كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في قُرب الله تعالى وهل هو عام أو خاص ٩٢
عودةٌ إلى مسألة المعيّة والمراد منها لغةً واصطلاحاً وتقرير أنها لا تنافي علو الله على خلقه والرد على من أنكر ذلك ..... ٩٢ ـ ٩٣
وجوب الإيمان بأن القرآن كلام الله تعالى حروفه وأصواته والإشارة إلى ضلال المعتزلة والأشاعرة في هذا الباب ..... ٩٣ ـ ٩٤
معنى قول المصنّف: (منه بدأ وإليه يعود) والإشارة إلى رفع القرآن في آخر الزمان ..... ٩٤ ـ ٩٥
سياق علامات الساعة الكبرى ..... ٩٥ ـ ٩٦
مذهب الكلابية والأشاعرة في كلام الله تعالى وبيان بطلانه وفساده ..... ٩٦ ـ ٩٨
معنى قول المصنف عن القرآن الكريم: (وهو كلام الله حروفه ومعانيه) ٩٨
مبحث عن المذاهب في مسمّى الكلام هل هو اللفظ أو المعنى وبيان الصواب في هذه المسألة ..... ٩٨ ـ ٩٩
عودةٌ إلى مسألة الإيمان برؤية الله في الآخرة ومذهب أهل السنة فيها ... ٩٩ ـ ١٠٠
سبب إنكار المعتزلة لرؤية الله في الآخرة وتحريفهم للأحاديث الواردة في هذا الباب والرد عليهم ١٠٠
ذكْر الأقوال في رؤية الناس لله تعالى في المحشر قبل دخول الجنة ..... ١٠٠ ـ ١٠١
وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وفتنة القبر والأدلة على ثبوته والرد على من أنكره ..... ١٠١ ـ ١٠٣
سياق بعض الأدلة على نعيم القبر ..... ١٠٣ ـ ١٠٤
هل تموت الروح وبيان شيء من أحوالها بعد الموت ١٠٤
الفرق بين تنعّم روح الشهيد وروح المؤمن ١٠٤

الموضوع | رقم الصفحة

معنى بعث الأجساد والرد على من زعم أنه تجديد وحكم منكر البعث ١٠٤
شرح معنى قيام الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً ..... ١٠٤ ـ ١٠٥
ثبوت منقبة موسى عليه السلام بإفاقته وأخذه بقائمة من قوائم العرش ..... ١٠٦ ـ ١٠٧
معنى قول المصنّف: (وتدنو منهم الشمس) ١٠٧
الكلام على الميزان وبيان ما يوزن فيه وحكم الإيمان بذلك ..... ١٠٧ ـ ١٠٨
الكلام على صحائف الأعمال ونشر الدواوين وأدلة ذلك ..... ١٠٨ ـ ١٠٩
محاسبة الله تعالى للخلائق مؤمنهم وكافرهم ..... ١٠٩ ـ ١١٠
إنكار المعتزلة للميزان الحسّي والرد عليهم ١١٠
ووجوب الإيمان بالحوض وبيان صفته ..... ١١١ ـ ١١٢
تعريف الصراط وبيان صفته ..... ١١٢ ـ ١١٣
أحوال الناس في المرور على الصراط وأدلة ذلك ١١٣
صفة القنطرة التي يمر بها المؤمنون ١١٣
ذكر وجوه الخلاف في الحوض ووقت مرور الناس عليه وسبب الخلاف
وأدلة كل فريق مع الترجيح ..... ١١٤ ـ ١١٦
أول من يستفتح باب الجنة هو الرسول ﷺ ١١٧
أنواع الشفاعات الثابتة للرسول ﷺ وسياق أدلتها ١١٧
الشفاعة العظمى وأدلتها وبيان اختصاصها بالرسول ﷺ ..... ١١٨ ـ ١٢١
الشفاعة للإذن بدخول الجنة وأدلتها وبيان اختصاصها بالرسول ﷺ ١٢١
شفاعة النبي ﷺ في تخفيف العذاب عن عمّه أبي طالب وأدلة ذلك ..... ١٢١ ـ ١٢٢
الكلام على الشفاعات المشتركة بين النبي ﷺ وبين غيره ١٢٢
ذكْر الشفاعة الخاصة بالله تعالى ١٢٢
بيان العلم الموروث عن النبي ﷺ ١٢٣
منزلة الإيمان بالقدر عند أهل السنة والجماعة ١٢٤
مراتب الإيمان بالقدر ودرجاته و الكلام على المرتبة الأولى: وهما العلم
والكتابة وأدلتهما وحكم منكرهما ..... ١٢٤ ـ ١٢٨
الكلام على المرتبة الثانية وهما: الإرادة والخلق وما يتعلق بذلك والرد
على منكري هذه المرتبة ١٢٩

الموضوع | رقم الصفحة

انقسام الأمر إلى ديني وكوني والفرق بينهما والمراد من كل منهما مع الأدلة ..... ١٣٠ ـ ١٣١
بيان معتقد أهل السنة في أفعال العباد والرد على الجبرية ..... ١٣١ ـ ١٣٢
سبب تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة ..... ١٣٢ ـ ١٣٣
الرد على شبه القدرية في نفيهم للقدر وبيان أنهم والجبرية في ذلك على طرفي نقيض ..... ١٣٣ ـ ١٣٤
عقيدة أهل السنة وسط بين القدرية والجبرية ..... ١٣٤ ـ ١٣٥
الرد على نفاة الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى وما يترتب على مذهبهم من مفاسد ١٣٥
تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة وبيان اشتماله على أربعة أمور ١٣٦
ذكْر الطوائف المخالفة لأهل السنة في باب الإيمان ومن هو أول من قال بالإرجاء ١٣٧
سرد الروايات عن أبي حنيفة في تعريف الإيمان ١٣٧
تحقيق أن مذهب أهل السنة أن العمل من الإيمان وجزء منه وركن خلافاً لمن أخرجه عن مسمّى الإيمان ١٣٧
بيان فساد مذهب الجهمية في الإيمان ..... ١٣٧ ـ ١٣٨
تحرير مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه وفساد مذاهب مخالفيهم ١٣٨
تحرير مذهب أهل السنة في مرتكب الكبيرة ١٣٨
مذهب الخوارج في مرتكب الكبيرة ١٣٩
أدلة أهل السنة والجماعة في عدم تكفير مرتكب الكبيرة ..... ١٣٩ ـ ١٤٠
معنى الفاسق الملّي عند أهل السنة وحكمه عندهم وبيان دخوله في مطلق اسم الإيمان ..... ١٤٠ ـ ١١٤
بيان عدم دخول الفاسق الملي في اسم الإيمان المطلق الذي يُراد به الإيمان الكامل وتحرير الضوابط والفروق بين الاسم المطلق ومطلق الاسم مع سياق الأدلة في ذلك ..... ١٤٢ ـ ١٤٣
سلامة قلوب وألسنة أهل السنة لصحابة رسول الله ﷺ ..... ١٤٤ ـ ١٤٥

الموضوع رقم الصفحة

امتثال أهل السنة طاعة النبي ﷺ في نهيه عن سبّ أصحابه ..... ١٤٦ ـ ١٤٩
الحد الفاصل بين السابقين الأولين وغيرهم هو صُلح الحديبية ١٤٩
بيان عقيدة أهل السنة في وجوب موالاة أزواج النبي ﷺ واعتقاد فضلهن جميعهن ١٥٠
من معتقد أهل السنة البراءة من الرافضة الذين يسبون الصحابة ١٥٠
فائدة: سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم ..... ١٥٠ ـ ١٥١
الكلام على أئمة الشيعة الاثني عشر ومهديهم المزعوم ١٥١
السبب الحامل للروافض على تكفير الصحابة وأهل السنة ..... ١٥١ ـ ١٥٢
عقيدة أهل السنة والجماعة في البراءة من النواصب ١٥٢
من عقيدة أهل السنة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة ..... ١٥٢ ـ ١٥٣
التحذير من الاستماع إلى أشرطة طارق السويدان وهجرها والرد عليها ١٥٣
موقف أهل السنة من الآثار المروية في مساوئ الصحابة ..... ١٥٣ ـ ١٥٤
التنبيه إلى أن الخلاف الذي نشأ بين الصحابة صادر عن اجتهاد لا عن هوى والاعتذار لهم عنه ..... ١٥٤ ـ ١٥٥
اعتقاد أهل السنة بعدم عصمة الصحابة وكلامهم في حكم الذنوب الصادرة عنهم ١٥٦
بيان فضل الصحابة على مَنْ سواهم من هذه الأمة ١٥٦
من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء ١٥٧
تعريف الولي ١٥٧
تعريف الكرامة وأنواعها وإيراد أمثلة عليها ..... ١٥٧ ـ ١٥٩
حكم ما يجري على أيدي السحرة والدجالين من خوارق العادات ..... ١٥٩ ـ ١٦٠
إنكار المعتزلة لكرامات الأولياء وخوارق السحرة والرد عليهم ١٦٠
الفرق بين معجزات الأنبياء وخوارق السحرة ..... ١٦٠ ـ ١٦١
عدم اختصاص أمة محمد ﷺ بالكرامات وثبوتها للأمم السابقة وسياق أمثلة على ذلك ١٦١
أسباب حصول الكرامات ١٦٢
هل هناك فرق بين المعجزة والكرامة ١٦٢

الموضوع | رقم الصفحة

ذكْر أمثلة على كرامات وقعت في الصدر الأول ١٦٣
بيان طريقة أهل السنة في اتباع آثار الرسول ﷺ والعمل بالسنة ..... ١٦٤ ـ ١٦٥
ذكْر فوائد تتعلق بحديث الافتراق ١٦٦
بيان دخول الصدّيقين والشهداء والصالحين وأعلام الهدى والأبدال في مسمّى أهل السنة والجماعة ١٦٧
معنى الصدّيق والشهيد والصالح ..... ١٦٧ ـ ١٦٨
معنى قول المصنّف: (أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى) ١٦٨
معنى أن أهل السنة (أولي المناقب المأثورة) ١٦٨
معنى كون أهل السنة هم (الأبدال) وتعريف البدل ١٦٨
معنى أن من أهل السنة أئمة أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وتسمية بعض هؤلاء الأئمة ١٦٨
معنى كون أهل السنة والجماعة هم (الطائفة المنصورة) وهل هذه الطائفة مقصورة على العلماء ١٦٩
خاتمة العقيدة الواسطية وما فيها من سؤال الله ودعائه ..... ١٦٩ ـ ١٧٠
معنى قول المصنف: (وصلى الله على محمد) ١٧٠
الفهرس العام ..... ١٧١ ـ ١٨٤

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com